المنظومة الفكرية للعلامة الملا عبد الله البهابادي اليزدي

«المجلد الأول»

إعداد

الأمانة العامة للمؤتمر الدولي لتكريم

العلامة الملا عبد الله البهابادي اليزدي رحمه الله

١٤٤٤هـ ٢٠٢٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

كلمة رئيس التحرير..... ١١

لمحة سريعة عن العلامة الملا عبد الله البهابادي اليزدي..... ١٢

«المقالات» ١٧

التجليات الأدبية والبلاغية لتفسير درة المعانى ١٨

ملخص ١٨

مقدمة..... ١٩

١. مكانة القرآن الكريم عند العلماء والمسلمين..... ١٩

٢. ريادة الشيعة في تفسير القرآن ١٩

٣. مسيرة التفسير القرآني في العهد الصفوي..... ٢٠

سورة الحمد المباركة..... ٢١

«بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ» ٢١

تفسير «اسم» ٢٢

فضل البسملة «بِسمِ الله الرَّحمنِ الرَّحيمِ» ٢٢

«الحمد لله رب العالمين» ٢٣

«الرحمن الرحيم»..... ٢٣

«مالك يوم الدين»..... ٢٤

ترجيح قراءة مالك ٢٤

«إياك نعبد وإياك نستعين» ٢٥

الجمع والجماعات في الإسلام..... ٢٧

«صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين»..... ٢٧

سورة الإخلاص المباركة..... ٢٨
المصادر:..... ٢٩
الجهود التفسيرية للعلامة الملا عبد الله اليزدي ٣١
ملخص ٣١
مقدمة..... ٣١
ريادة الشيعة في علم تفسير القرآن..... ٣٣
خصوصية تفسير سورة الفاتحة ٣٤
الجهود التفسيرية للملا عبد الله اليزدي..... ٣٤
أ: التجارة الرابحة ٣٥
ب: حاشىة على تفسير أنوار التنزيل ٣٥
ج: درة المعاني..... ٣٥
أسباب نسبة درة المعاني إلى الملا عبد الله..... ٣٧
تركيبة الدرة ونظرة في مضامينها ٣٨
نتيجة البحث..... ٤٢
المصادر:..... ٤٣
الملا عبد الله البهابادي اليزدي في الذريعة..... ٤٥
مقدمة..... ٤٥
١. الشىخ آغا بزرك الطهراني..... ٤٦
٢. الملا عبد الله البهابادي..... ٤٧
الذرىعة ٤٨
الملا عبد الله في الذريعة..... ٤٨
نظرة بانورامية ٤٩
تصحىح تصحيف..... ٤٩

حاشیة الملا عبد الله، وشروح الحاشية ٥٠
المصنّفات البلاغية ٥٥
المصنّفات الكلامية والمنطقية والفقهية ٥٦
المصنّفات الفلسفية ٦٠
المصنّفات التفسيرية ٦١
شوارد ٦٢
أ) كلام عن إجازة المجلسي الثاني للملا عبد الله ٦٢
ب) كتاب أدعية أيام الأسبوع ٦٢
ج) آغا زاده المنجم ٦٣
د) إلماعة ٦٣
هـ) بعض المشاهير في أسرة الملا عبد الله ٦٤
آخر الكلام ٦٥
المصادر: ٦٦
دراسة وصفية لحاشية الملا عبد الله البهابادي من منظار تحليل النوع الأدبي (Genre) ٦٨
ملخص ٦٨
١. مقدمة ٦٨
٢. مقتطف تاريخ الأدب ٦٩
٣. أسلوب التحقيق ٧١
٤. المعطيات ٧٢
٥. بحث ونتيجة ٧٢
المصادر: ٧٣
مدرسة شيراز والملا عبد الله البهابادي اليزدي من منظار الشهيد مطهري ٧٥
ملخص ٧٥

مقدمة ٧٥
نبذة عن شخصية الملا عبد الله ومجايليه من العلماء في الطبقة العشرين ٧٧
الطبقة الحادية والعشرون، تراجم التلامذة ٧٩
الطبقة الثانية والعشرون ٨٠
تراجم شيوخ شيوخ طبقة الملا عبد الله ٨٢
علماء الطبقة السابعة عشرة ٨٣
معاريف الطبقة السادسة عشرة ٨٤
الطبقة الخامسة عشرة ٨٦
نتيجة البحث ٨٦
المصادر: ٨٧
المنهج التفسيري للملا عبد الله البهابادي اليزدي "تفسير درة المعاني في تفسير السورة والفاتحة نموذجًا" ... ٨٨
ملخص: ٨٨
مقدمة ٨٨
١. شرح المفهوم ٨٩
١ – ١. التفسير ٨٩
١ – ٢. المنهج أو الأسلوب ٨٩
٢. الجهود التفسيرية للعلامة الملا عبد الله البهابادي اليزدي ٩٠
٢ – ١. التجارة الرابحة في تفسير السورة و الفاتحة ٩٠
٢ – ٢. حاشية على تفسير أنوار التنزيل ٩٠
٢ – ٣. درّة المعانى في تفسير سورة الإخلاص و السبع المثاني ٩١
٣. أهمية المنهج في تفسير آيات القرآن ٩١
٤. خصائص المنهج التفسيري للملا عبد الله البهابادي ٩٢
٤ – ١. تركيزه على منهج تفسير القرآن بالقرآن ٩٢

۴ – ۲. اهتمامه بالتفسير بالمأثور والاستعانة بروايات المعصومين (عليهم السلام) ۹۲
۴ – ۳. اهتمامه بالقراءات ۹۳
۴ – ۴. الاستعانة بروايات أسباب النزول ۹۳
۴ – ۵. تركيزه على المباحث الأدبية – البلاغية ۹۳
۵. المصادر التفسيرية لـ درة المعاني ۹۴
۵ – ۱. تفسير الكشاف ۹۴
۵ – ۲. تفسير مجمع البيان ۹۴
۵ – ۳. تفسير العياشي ۹۵
۵ – ۴. تفسير أنوار التنزيل (البيضاوي) ۹۵
۶. مصادر اللغة والنحو والأدب ۹۵
۶ – ۱. لسان العرب ۹۵
۶ – ۲. الكتاب ۹۵
نتيجة البحث ۹۶
المصادر: ۹۶
موقع القضية الطبيعية من منظار الملا عبد الله اليزدي ۹۸
ملخص ۹۸
عرض المشكلة ۹۸
المسار التاريخي للقضية الطبيعية ۹۹
نظريتا تحويل وعدم تحويل القضية الطبيعية ۱۰۱
موقع القضية الطبيعية من منظار الملا عبد الله ۱۰۵
مقسم الطبيعية ۱۰۸
تقييم القضية الطبيعية ۱۱۱
نتيجة البحث ۱۱۳

المصادر: ١١٤
الملا عبد الله اليزدي والدولة الصفوية من منظار قائد الثورة الإسلامية ١١٦
ملخص: ١١٦
مقدمة ١١٧
تشويه صورة العصر الصفوي ١١٨
الصفويون وتطور العلوم والآداب ١٢١
انتشار الحوزات العلمية في العهد الصفوي..... ١٢٣
نقد على استبداد الحكومة الصفوية..... ١٢٣
كثرة العلماء الإيرانيين ١٢٥
تشجيع الصفويين على طلب العلم ١٢٥
وجوب تكريم عظماء إيران ومنهم عظماء العصر الصفوي..... ١٢٦
تعاظم العزّة الإيرانية في العهد الصفوي ١٢٦
الصفويون وإزالة مناخ الرعب ١٢٧
العلماء وعدم التفريط باستقلال الحوزات ١٢٧
نتيجة البحث ١٢٨
نهج الملا عبد الله البهابادي اليزدي في الإدارة والحكم..... ١٢٩
مقدمة ١٢٩
النقابة و النقباء في النجف في عهد العلامة البهابادي اليزدي ١٢٩
سنة ٩٤٢ هـ– ١٥٣٥ م الشاه طهماسب يزور النجف..... ١٣٢
سدانة وخزانة حرم أمير المؤمنين (عليه السلام) ١٣٣
واجبات سدانة الحرم العلوي الطاهر ١٣٤
تبنّي العلامة البهابادي اليزدي الخطاب الحواري لأهل البيت (ع) مع أهل السنّة في تولّيه السدانة وحكم النجف ١٣٤

سيرة أهل البيت (عليهم السلام) في خلق الوحدة بين المسلمين..... ١٣٤
التعايش السلمي والمداراة مع أهل السنّة وسائر الفرق الإسلامية..... ١٣٥
الدعوة إلى الوحدة في المجتمع الإسلامي والتأكيد عليها..... ١٣٥
المعاملة الطيبة مع الآخرين وعدم الإساءة إلى مقدساتهم ١٣٦
تحمّل معتقدات الآخرين وعدم تكفير المخالفين ١٣٦
والمحصلة: ١٣٧
العتبات المقدسة محور التآلف بين الحكومات والمذاهب الإسلامية..... ١٣٧
المقاربة داخل مذهبية ١٣٨
مقاربة داخل دينية ١٣٨

كلمة رئيس التحرير

تدوين المنظومة الفكرية للعلامة الملا عبد الله البهابادي اليزدي من المشاريع المهمة التي تعكف الأمانة العامة للمؤتمر الدولي لتكريم العلامة الملا عبد الله البهابادي اليزدي على تنفيذها. ومن خلال اتصالاتها بالمراكز العلمية والتعليمية داخل إيران وخارجها تسعى الأمانة العامة إلى الاستعانة بالخبرات العلمية للأساتذة والمختصّين في حقول العلوم الإسلامية والإنسانية، وطبقًا للمحاور التالية:

الآراء الفقهية
الآراء التفسيرية
الآراء السياسية
الآراء الحضارية
الآراء الاجتماعية
الآراء الكلامية
الآراء الفلسفية
الآراء المنطقية
الآراء الأدبية
الآراء البلاغية

انتظمت في هذا الكتاب مجموعة من الأفكار والآراء للعلامة البهابادي في حقول المنطق والتفسير والأدب والسيرة العلمية والعملية، والسياسة، والكلام، والإدارة. نأمل أن نتمكّن من إلقاء الضوء على محاور المنظومة الفكرية للعلامة بمساعدة المفكرين في الجامعات والحوزات العلمية. جدير بالذكر، وصلت إلى الأمانة العامة للمؤتمر حتى الآن أكثر من ٣٠ مقالة علمية، سنقوم بترجمة المقالات المختارة من هذه المجموعة إلى اللغة العربية.

حسن عبدي پور
السكرتير العلمي للمؤتمر الدولي
لتكريم العلامة الملا عبد البهابادي

لمحة سريعة عن العلامة الملا عبد الله البهابادي اليزدي

العلامة الملا نجم الدين عبد الله بن شهاب الدين حسين البهابادي اليزدي المعروف بالملا عبد الله البهابادي اليزدي الفقيه والمنطيق، والعالم الشيعي الفاضل، تولد في القرن العاشر الهجري في "بهاباد" على مسافة ٢١٠ كم جنوب شرق مدينة يزد الإيرانية[١] وتوفي في سنة (٩٨١هـ) ودُفن في العتبة العلوية المطهرة. سعى إلى نشر التشيّع وحل مشاكل الشيعة مستفيدًا من علاقاته الوثيقة بالبلاط الصفوي. كان الملا عبد الله اليزدي فطحلًا في علم الفقه والمنطق، وصنّف أعمالًا مهمة أهمّها «الحاشية على تهذيب المنطق» المعروف بـ«حاشية الملا عبد الله» فكان أحد أسباب شهرته وذيوع صيته في الحوزات العلمية. كانت له مدارسات مشتركة مع آية الله مقدس أردبيلي لكنّه لم يكن يسعى إلى المرجعية الفقهية، وكان يرى أنّ واجبه يتمثّل في نشر العلوم العقلية والنقلية وتقديم الخدمات للحضرة المقدسة للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام).

تنطوي شخصية العلامة الملا عبد الله البهابادي على أبعاد مجهولة، إذ على الرغم من امتداداته السياسية والاجتماعية وتصدّيه لسدانة العتبة العلوية المقدسة، ظلّت شخصيته ومكانته العلمية وسيرته العملية محتجبة بالنسبة للمحافل الحوزوية والجامعية حتى يومنا.

نشأ وترعرع في مسقط رأسه بهاباد وأتمّ تحصيل العلوم الأولية فيها، بعد ذلك شدّ الرحال إلى مدن إسلامية مثل شيراز وأصفهان سعيًا لتلقّي العلوم الدينية.[٢]انكبّ على البحث والتدريس ردحًا من الزمن في جوار الضريح المقدس للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، فأثمرت هذه الفترة عن تصنيف حاشيته الشهيرة على كتاب تهذيب المنطق لسعد الدين التفتازاني.[٣]

يقول الأستاذ الشهيد مرتضى مطهري عن الملا عبد الله:

---

[١] . جغرافياى كامل ايران، وزارة التربية والتعليم، ج ٢ ، طهران، شركة إيران للطباعة والنشر ١٣٦٦، ص١٣٧١.

[٢] . الشرح النفيس لحاشية الملا عبد الله، السيد مصطفى الحسيني المازندراني، ط. ٤، ج ١، قم، مكتبة طباطبايي، ١٣٤٣.

[٣] . روضات الجنات، ج ٤، ص ٢٢٩، محمد باقر الخونسارى.

الملا عبد الله اليزدي صاحب الحاشية على منطق التهذيب المعروفة بحاشية الملا عبد الله وهو منهج دراسي في المنطق يدرّس في الحوزات العلمية. زعم البعض أنّه كان يجهل العلوم الشرعية، لكنّه على العكس من ذلك، كان فقيهًا وفي نفس الوقت من أهل المعقول سيّما المنطق. في شيراز درس على أستاذه جمال الدين محمود سابق الذكر وأمير غياث الدين دشتكي.[1]

هذا، بالإضافة إلى أنّه درس على مشايخ آخرين نذكر منهم: ١. أمير غياث الدين منصور الشيرازي[2]؛ ٢. جمال الدين محمود الشيرازي[3]

كانت للملا عبد الله البهابادي مدارسات مع علماء كبار مثل: ١. الملا أحمد الأردبيلي المعروف بالمقدس الأردبيلي؛ ٢. الميرزا جان الباغنوي الشيرازي

كما أعدّ الملا عبد الله البهابادي تلامذة مشاهير منهم: ١. الشيخ بهاء الدين محمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي الجبعي عامل المعروف بالشيخ البهائي؛ ٢. الشيخ حسن بن زين الدين بن علي بن أحمد العاملي الملقّب بجمال الدين والمكنى بأبي منصور، نجل الشهيد الثاني[4] ٣. السيد محمد بن علي بن حسين الموسوي العاملي الجبعي الملقب بشمس الدين، ابن أخت الشهيد الثاني.[5]

كانت تربطه بالدولة الصفوية الشيعية علاقات ومصالح كثيرة، وكان ملوك الصفوية لأسباب وعوامل مختلفة دينية وسياسية ومصالح حكومية يكنّون احترامًا وتبجيلًا عظيمين لعلماء الدين الشيعة ويستشيرونهم في العديد من شؤون الدولة. من ناحية ثانية، كان العلماء يوظّفون مواقعهم الأثيرة لدى ملوك الدولة الصفوية من أجل نشر مذهب التشيّع. في الحقيقة، كان لعلاقاتهم بالملوك الصفويين دور بارز في نشر نفوذ التشيّع

---

[1] . مرتضى مطهرى، خدمات متقابل ايران و اسلام، ص ٥٨٠.

[2] . ملا عبد الله افندى، رياض العلماء، ج ٣، ص ١٩١.

[3] . ملا عبد الله بهابادى صاحب حاشيه، احمد ترجمى ١٣٧٤، ص ٥٦، منشورات بهاباد.

[4] . روضات الجنّات، ج ٧، ص ٦٤، الميرزا محمد باقر الخونسارى؛ ريحانة الادب، ج ٣، ص ٣٩٣، الميرزا محمد على مدرس؛ مفاخر اسلام، على دوانى، ج ٤، ص ٤٨١؛ گلشن ابرار، ج ١، ص ١٧٣.

[5] . ريحانة الادب، ج ٣، ص ٣٨٨، الميرزا محمد على مدّرس.

واستطاعوا في تلك الفترة أن يخرجوا المذهب من عزلته والاعتراف به كمذهب رسمي للدولة والترويج لعقائده وآرائه، وانبرى علماء فطاحل مثل المحقق الثاني والشيخ البهائي والعلامة الكبير المجلسي إلى توجيه دفة سياسات البلاط الصفوي نحو الدعوة للتشيع، وقدّموا خدمات جليلة للإسلام والمذهب الشيعي. وكان الملا عبد الله من بين هؤلاء العلماء الذين وظّفوا علاقاتهم الوثيقة بالبلاط الصفوي من أجل نشر عقائد المذهب الشيعي وحل مشاكل الشيعة، وأثمرت جهوده عن نتائج عظيمة. وقد عُيّن الملا عبد الله أمينًا لخزانة الحضرة العلوية الشريفة من قبل السلاطين الصفويين. وانتقلت مسؤولية هذا المنصب إلى ذريته من بعده.[1]

المكانة المعنوية والعلمية

كان الملا عبد الله في طليعة علماء عصره في الزهد والتقوى، وأطلقت عليه ألقاب كثيرة من قبيل علامة دهره، الفقيه المنطيق، العالم الفاضل، أتقى وأزهد أبناء عصره، شارح المنطق المفكر، كلّها تدلّ على سمو مكانته وشرف منزلته، وعلوّ كعبه ودرجته العلمية والمعنوية.[2]

من بين كرامات الملا عبد الله اليزدي أنّه كان في أصفهان، وقد مرّ شطرٌ من الليل، فتوجّه بنظرة باطنية إلى مدينة أصفهان وقال لمن معه: شدّوا الرحال سنترك هذه المدينة على عجل، إنّي أرى بضعة آلاف من موائد اللهو والشراب قد نُصبت فيها، وإذا ما نزل بها عذاب الله فسوف يصيبنا نحن أيضًا. وبالفعل حزم أتباعه متاعهم وركب الملا عبد الله راحلته لترك المدينة.

عند السحر وهو يهمّ بالرحيل مع أصحابه، رمق الملا عبد الله مدينة أصفهان مرة أخرى بنظرة باطنية وقال لمن معه: عودوا، إنّي أرى بضعة آلاف قائمين على سجاداتهم لإقامة صلاة الليل، وقد عدلوا هذه بتلك. فعاد أدراجه إلى المنزل الذي كان يقيم فيه بالمدينة.[3]

---

[1] . أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، الجزءان ٢و٣ بيروت، ١٩٥٦م، ص ١١٨.

[2] . آخوند ملا عبد الله بهابادى صاحب حاشيه، احمد ترحمى، ١٣٧٤، منشورات بهاباد.

[3] . قصص العلماء، الميرزا محمد بن سليمان تنكابنى، طهران، ١٣٠٤هـ، ص ١٧٤.

لقد خاض الملا عبد الله عباب علم الفقه وبلغ فيه شأوًا بعيدًا حتى صار أحد أساتذته الذين يُشار إليهم بالبنان، وكان يقول عن استحقاق وجدارة: إنّي، بتوفيق من الله، لو شئتُ لخضتُ في جميع مسائل الفقه وقدّمت في شرحها وتوضيحها من الأدلة والبراهين ممّا لا يرقى إليه أيّ شك أو شبهة.[1]

امتدح الكثير من العلماء سيرة الملا عبد الله وأثنوا عليها، فهذا الشيخ البهائي يصفه بـ«العلامة اليزدي» في حاشية وتفسير القاضي.[2]

وكتب العالم الكبير السيد علي خان في كتاب سلافة العصر عن الملا عبد الله البهابادي: لا يدانيه أحد في العلم والتقوى والفضل، صنّف العديد من الكتب المفيدة في علم الفقه وعلم المنطق وغيرها.[3]

وترجم له الملا أمين أحمد الرازي الساكن في الهند في كتابه «تذكره هفت اقليم» تحت عنوان «مولانا عبد الله»: لم يفتأ يخط ببراعه على صحيفة الأيام، حاملًا قصب السبق، متقدمًا أقرانه ومجايليه، وقد بلغ الغاية في فنون علم الفقه، وكان يقول عن استحقاق وجدارة: إنّي، بتوفيق من الله، لو شئتُ لخضتُ في جميع مسائل الفقه وقدّمت في شرحها وتوضيحها من الأدلة والبراهين ممّا لا يرقى إليه أيّ شك أو شبهة.[4]

ترك الملا عبد الله تراثًا غنيًا من المصنّفات نذكر منها على سبيل المثال:

١. حاشية تهذيب‌المنطق لسعد الدين التفتازاني.
٢. شرح تهذيب المنطق بالفارسية.
٣. حاشيه بر مختصر تفتازانى.
۴. حاشيه بر مطوّل تفتازانى.
۵. التجارة الرابحة فى تفسير السورة و الفاتحة

---

[1] . ريحانة الادب، ج ۶، ص ۳۹۰، الميرزا محمد على مدرس.
[2] . قصص العلماء، الميرزا محمد بن سليمان تنكابنى، طهران، ۱۳۰۴هـ، ص ۱۷۴.
[3] . الفوائد الرضوية، الشيخ عباس القمي، صص ۲۴۹ و ۵۰۶.
[4] . هفت اقليم، أمين أحمد الرازى، كلكتا، ۱۹۶۳م، ، ص ۱۷۹.

۶. شرح قواعد در فقه شیعه.

۷. حاشیه بر حاشیه شریفیه.

۸. حاشیه بر حاشیه بر شرح شمسیه.

۹. الدّرة السنیة فی شرح الرسالة الالفیة الشهیدیة.

۱۰. شرح العجاله.

۱۱. حاشیه بر حاشیه شرح جدید تجرید.

۱۲. حاشیه بر حاشیه شریفیه و جلالیه.

۱۳. حاشیه بر مبحث جواهر از شرح تجرید.

۱۴. حاشیه بر مبحث موضوع علم از حاشیه دوانی.

بعد عمر حافل بالجهود الحثيثة والخدمات الجبارة في حقل التعليم والتعلّم أغمض الملا عبد الله البهابادي عينيه عن هذه الدنيا في سنة ۹۸۱هـ في أواخر حكم الشاه طهماسب الصفوي لينتقل إلى الدار الباقية.[۱]

[۱] . آخوند ملاعبدالله بهابادی صاحب حاشیه، احمد ترحمّی، ص ۱۰۸.

«المقالات»

التجليات الأدبية والبلاغية لتفسير درة المعانى

علی عباس‌پور*

ترجمة: حسين صافي

ملخص

لعلم التفسير مكانة فريدة ليست لأيٍّ من العلوم الإسلامية، والإحاطة بمفاهيم القرآن تطلّبت ظهور علوم أولية مثل علم الصرف والنحو والقراءة والبلاغة (المعاني والبيان والبديع) لتهيئة مقدمات فهم ظاهر القرآن، فالشيعة تعتقد أنّ للقرآن معانٍ ظاهرة وباطنة. المعاني الظاهرية للقرآن تستخرج من خلال البحث في الآيات الأخرى ودراسة قواعد الصرف والنحو والبلاغة، أمّا المعاني الباطنة فلا مجال للوصول إليها إلّا عبر الانتهال من نمير العلوم الصافي للأئمة المعصومين (عليهم السلام). منذ نزول أولى شآبيب الوحي الإلهي دُوّنت تفاسير عديدة ذات مشارب واتجاهات متنوعة روائية وعقلية وأدبية وعرفانية وغيرها من أجل توضيح الأبعاد اللامتناهية للقرآن الكريم. من بين التفاسير الأدبية التي ظهرت في القرن العاشر الهجري تفسير درة المعاني في تفسير سورة الحمد والإخلاص للعلامة الملا عبد الله البهابادي اليزدي. يتناول المؤلف النحرير في التفسير المذكور مباحث من قبيل التركيز على جذور الألفاظ، وقاعدة التخصيص وقاعدة الالتفاف لغرض تبيين المفاهيم التي تنطوي عليها سورتي الحمد والإخلاص المباركتين. جدير بالذكر أنّ الصبغة الأدبية هي الغالبة على تفسير سورة الحمد المباركة بينما يتميّز تفسير سورة الإخلاص بصبغة عقلية.

في هذه الورقة، يحاول الكاتب، على نحو إجمالي، بأسلوب تحليلي دراسة بعض القواعد المستخدمة في تفسير درة المعاني للمرحوم الملا عبد الله البهابادي ودور العلوم الثلاثة الصرف والنحو والبلاغة كتجليات أدبية وبلاغية في التفسير المذكور.

الكلمات المفتاحية: التفسير، درة المعاني، الألفاظ، النحو، الصرف، البلاغة.

---

* باحث حوزوي.

مقدمة

١. مكانة القرآن الكريم عند العلماء والمسلمين

القرآن كتاب سماوي نزل لهداية البشرية وترسيم طريق التكامل. وهو في حدّ ذاته معجزة عجز الآخرون عن الإتيان بمثله. يمكن دراسة إعجاز القرآن من زوايا عدّة إحداها الإعجاز الأدبي والبياني. نظم إيقاع القرآن في ضوء بعض المحسنات البديعية مثل السجع ومراعاة الفواصل أكسبت هذا الكتاب السماوي تركيبة فريدة إعجازية. مع ذلك ينبغي أن لا تغيب عن بالنا هذ المسألة وهي أنّ إعجاز القرآن وتركيبته الخلاقة لا تقتصر على هذه الأمور فحسب، فسواء قلنا بوجود السجع والفواصل في القرآن أم لم نقل، يبقى نظم القرآن وإيقاعه وجماله وسحره قائمًا.

ما برح القرآن بوصفه حجر الزاوية في البنية الفكرية للمسلمين وأهم ينابيع الفكر والتعاليم الإسلامية، موضع عناية واهتمام المسلمين والعلماء، وأثمر اهتمامهم وجهودهم الحثيثة في فهم معاني القرآن إلى تدوين آلاف التفاسير لكتاب الوحي الإلهي وبمشارب واتجاهات مختلفة ومتنوعة ضمّتها مئات المجلدات. وتشي كثرة التفاسير المدوّنة باهتمام المسلمين الوافر بهذا الكتاب الخالد، هذه الصحيفة المقدسة التي ترسم مسيرة النهوض للبشرية نحو دار الخلد، كما كان لهذه الوفرة من التفاسير حصة كبيرة في دينامية المسلمين واعتلائهم وتكاملهم.

٢. ريادة الشيعة في تفسير القرآن

كان علم تفسير القرآن وما يزال من العلوم المباركة والمفيدة للغاية عند المسلمين. فقد مرّ منذ بدايات تأسيسه وحتى اليوم بتطورات عديدة. في القرون الأولى من نزول الوحي، على سبيل المثال، ظهر التفسير بشكل بسيط لا يتجاوز نطاق شرح الألفاظ بالاستناد إلى المأثور والأخبار، واستمرّت مسيرة التفسير بتؤدة فشهدت في مراحل لاحقة توسّعًا كبيرًا وتحوّلًا عميقًا حتى بلغت مرحلة الكمال وأصبحت حركة وعلمًا قائمًا بذاته في حقل الفكر والمعارف الإسلامية.

وعلى العكس من اتهامات الوهابية المعاصرة للشيعة بأنّ علم التفسير مهجور عندهم، كان الشيعة أول من

خدم القرآن الخدمة الحقيقية. فالمصنّفات القرآنية لغير الشيعة كانت تصبّ في الغالب في خانة المباحث التمهيدية مثل الأدب والنحو والبلاغة والتجويد وعلم القراءات وتاريخ النزول ..إلخ، وبالنسبة للنظرة الروائية فإنّ جمهرة الأحاديث المختلقة والموضوعة والإسرائيليات كانت مدعاة لتفريغ ظاهر القرآن من أيّ قيمة للتمسك به، كما أنّ دخول الرؤية التأويلية بقوة على الخط والتي نلاحظها بوضوح في بعض تفاسير أهل السنّة مثل تفسير البيضاوي كل هذه الأسباب أدّت إلى إضعاف الدور الهدائي للقرآن،[1] لكنّ الشيعة وعلى الرغم من سابقتهم الطويلة وريادتهم للعلوم التمهيدية للقرآن مثل علم القراءة والتجويدو الإعجام والتشكيل والتدوين وفضل القرآن ومعاني القرآن وغريب القرآن والمجاز القرآني وأمثال القرآن وأحكام القرآن وغير ذلك، بل وكانوا المؤسّسين لهذه العلوم والفنون،[2] إلّا أنّهم اضطلعوا بالمهمة الرئيسية في هذا المجال أعني الصيانة الحقيقية للمقاصد الإلهية من كلام الوحي، ولذلك تجد أنّ الآراء التفسيرية للشيعة أقل اختلافًا وأقرب إلى المنطق والمعقولية على العكس من تفاسير أهل السنّة التي تعجّ بالتناقضات والاختلافات.

٣. *مسيرة التفسير القرآني في العهد الصفوي*

في العهود التي سبقت صعود الدولة الصفوية، لم يكن علم التفسير يحظ بالاهتمام الكافي وذلك لعوامل عدة منها ابتعاد علماء الشيعة عن مركز صنع القرار السياسي وعدم الشعور بالحاجة إلى كتب أحكام القرآن،[3] ولكن بعد استقرار الدولة الصفوية والاعتراف بالمذهب الشيعي كمذهب رسمي للبلاد ورغبة ملوك الصفوية في إدارة البلاد على أساس أحكام هذا المذهب الجديد، تضاعف الاهتمام بالتفسير بشكل غير مسبوق. وتبعًا لذلك، شهد علم التفسير في ذلك العهد عصرًا ذهبيًا، فتتابعت التصانيف العلمية الشيعية في مختلف الحقول والميادين ليتسارع تعجيل مسيرة التكامل والاعتلاء الشيعية.

---

[1]. عابديني، عظيم، فعاليت‌هاى تفسيرى علامه ملاعبدالله بهابادى، ص ٢.

[2]. الصدر، السيد حسن، تأسيس‌الشيعه، صص ٣١٥ إلى ٣٤٧.

[3]. دوّنت قبل العصر الصفوي تفاسير فقهية مختلفة منها على سبيل المثال: تفسير فقه‌القرآن لسعيد بن هبة الله الراوندي (٥٧٣هـ)، وتفسير منهاج‌الهدايه ابن متوج البحراني (٨٢٠هـ) وتفسير كنزل العرفان لفاضل مقداد(٨٢٦هـ).

وقد ظهرت في هذا العصر ثلاثة تيارات رئيسية في حقل التفاسير الشيعية اقتضتها التحولات السياسية والاجتماعية المستجدة. التيار الأول هو التيار الكلامي، وباعتقاد كاتب السطور أنّه على الرغم من تصنيف بعض تفاسير هذا العصر كتفسير صدر الشيرازي بالتفسير الفلسفي، إلّا أنّها كانت ذات نزعة كلامية فهي ليست فلسفية في جوهرها وإن بدت بطابع فلسفي. التيار الثاني، تيار حديثي وأخباري. في تلك الفترة خرج الشيخ الميرزا محمد أمين الاسترابادي بادعاء مفاده أنّه من أجل فهم الدين لا بدّ من الرجوع إلى الأخبار والروايات. بينما تمحور التيار الثالث حول الشريعة فتجلّت الأحكام الفقهية من خلال التفاسير.

سورة الحمد المباركة

بالنسبة لمكانة سورة الحمد لا بدّ من القول: إنّها من أهم سور القرآن الكريم وتتمايز على باقي السور بخصوصية خاصة. فوجوب قراءتها في الصلوات اليومية وكذلك ما تنطوي عليه من معارف راقية أخلاقية واجتماعية وعرفانية شكّلت أسبابًا لفتح باب خاص لهذه السورة قليلة الآيات وكثيرة المضامين والمعاني في علم الفقه وعلم الأخلاق والعرفان الإسلامي. ودعت أهمية السورة وعظمتها مفسّري القرآن الكريم أيضًا لينظروا نظرة خاصة إليها، وإفراد كتب مستقلة في شرحها وتفسيرها بحيث يمكن القول أنّه أصبح لدينا تراث عظيم وغني يضمّ ببليوغرافيا ضخمة مخصّصة لتفسير سورة الحمد تشمل مئات الكتب في تفسير هذه السورة المباركة خُطّت بأقلام علماء مسلمين فطاحل من مختلف المشارب والانتماءات المذهبية (الشيعية الإثني عشرية، الشيعة الزيدية، المالكية، الشوافع، الحنابلة، الأحناف) وعبّر كل منهم عن وجهة نظر فكرية خاصة (عرفانية، فلسفية، كلامية، روائية) ضمن خارطة جغرافية مترامية الأطراف.

«بِسمِ اللّهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ»

لا خلاف بين علماء الشيعة على أنّ البسملة «بسم الله» جزء من سورة الحمد وجميع سور القرآن أيضًا. وكان ذكر «بسم الله» في مستهل السور معمولًا به منذ عصر النبي (ص) وحتى يومنا، وجرت على ذلك سيرة

المسلمين على مرّ العصور، أي عند الشروع بتلاوة القرآن تُستهلّ القراءة بالبسملة، وقد ثبت بالتواتر أنّ النبي الأكرم (ص) كان يفعل ذلك، فأنّى له (ص) والمسلمون على إثره أن يقرأوا البسملة ويواظبوا عليها إن لم تكن جزءًا أصيلًا من القرآن.[1]

تفسير «اسم»

إذا كان المقصود من «اسم» في الآية الشريفة الألفاظ الدالة على الذات أو الذات التي تنطوي على الصفات، فالأقرب إلى الذهن هو أن تكون الباء في البسملة «بسم الله» متعلقة بابتداء «المصدر المضاف» أو ابتداء «الفعل المضارع» فيكون المعنى ابدأ بذكر اسم الله الرحمن الرحيم. أو أشرع بتنزيل هذه الآيات البينات باسم الله الرحمن الرحيم.

أمّا إذا كان المقصود من الاسم الموضوعات والحقائق التي بواسطتها يعرف الإنسان ربه جلّ وعلا مثل الرحمن والرحيم والعالم والقادر والرب والحيّ والمدرك وأمثالها فالأنسب هو أن تكون الباء متعلقة بتمام تنزيل السوة المباركة أو القرآن الكريم، أعني، أنزّل القرآن أو هذه السورة تحت عنوان رحمانية أو رحيمية الله تبارك وتعالى، لأنّ نزول جميع البركات وأهمها نعمة نزول الوحي والآيات البينات نابعة من صفة الرحمانية والرحيمية، ولا تتحقّق ولا توجد إلّا في ظل تجليات رحمة الحق، وأنّ العلم والقدرة والحكمة وأمثالها من الأسماء المقدسة التي تلي الرحمة في الرتبة، لها تأثير في تنزيل البركات أو كيفيته.

فضل البسملة «بِسمِ الله الرَّحمنِ الرَّحيمِ»

قالَ الله عَزَّ وَ جَلَّ... اِذا قالَ العَبدُ: «بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ» قالَ الله ـ جَلَّ جَلالُهُ ـ : بَدَاَ عَبدى بِاسمى، وَ حَقٌّ عَلَىَّ اَن اُتَمِّمَ لَهُ اُمورَهُ و اُبارِكَ لَهُ فى اَحوالِهِ».[2]

وقال النبي الأكرم (ص): اَلْعَبد... إِنْ قالَ فى أَوَّلِ وُضوئِهِ بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ طَهُرَت أعضاؤُهُ كُلُّها

---

[1]. تفسير الأمثل.

[2]. ابن بابويه، محمد بن علي، الامالى، ترجمة: محمد باقر كمرئي، ص ١٧٧٤. ابن بابويه، محمد بن على، عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، ج ١، ص ٣٠٠ ، ح٥٩.

مِنَ الذُّنوبِ».[1]

وقال الإمام علي أمير المؤمنين (عليه السلام): «مَنِ اسْتَمَعَ إلى قارىءٍ يَقرَؤُها [بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ] كانَ لَهُ بِقَدرِ ما لِلْقارِئ».[2]

«الحمد لله رب العالمين»

يشير المرحوم الملا عبد الله في تفسير الآية الشريفة «الحمد لله رب العالمين» إلى مبحث اللام ويوضّح بأنّ كل نعمة تعود إلى لام الاختصاص ويقول بأنّ كل نعمة هي عطيّته، وعليه، فالحمد له وحده على كل نعمة، حتى مع وجود واسطة، لأنّ الحمد هو ذكر النعمة، وذكر النعمة يكون بذكر إحسان المنعم، وإلّا لم يكن ذكر لنعمته. لذا، فحمد النعم يختصّ بالله وحده، ومن هنا إلحاق لام الاختصاص باسم الجلالة «الله» لبيان هذا المعنى.

مفهوم الحمد، خليط من مفهوم المديح والشكر. يطلق الإنسان لسانه بالحمد إزاء الجمال والكمال ولسانه بالشكر إزاء نعم الآخرين وخدماتهم وإحسانهم. فالله تبارك وتعالى يستحق الحمد لكماله وجماله، ويستحق الشكر لإحسانه ونعمه.

«الرحمن الرحيم»

اشتهر بين جماعة المفسرين أنّ صفة «الرحمان» إشارة إلى الرحمة العامة لله، والتي تشمل الصديق والعدو، والمؤمن والكافر والمحسن والمسيء، لأنّنا نعلم أنّ «شآبيب رحمته اللامتناهية نزلت على الجميع، وخوان نعمه السابغة أقيمت في كل مكان.» كل العباد ينعمون بمختلف مواهب الحياة، وينالون رزقهم من خوان النعم الإلهية اللامتناهية، وهو ما يطلق عليها الرحمة العامة التي وسعت الوجود كله والجميع يسبح في بحر جوده.[3]

---

[1]. استادى، رضا، تفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)، ص ٥٢١ ، ح ٣١٩.

[2]. المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٠٢.

[3]. مكارم شيرازى، ناصر، تفسير الأمثل، ج ١، ص ٣٢٠.

«الرحيم» إشارة إلى رحمة الله الخاصة، التي يخصّ بها عباده المطيعين الصالحين؛ لأنّهم بحكم إيمانهم وعملهم الصالح استحقّوا رحمته ومغفرته وإحسانه الخاص، وليس للمذنبين والمسيئين نصيب من هذه الرحمة الخاصة.

«مالک یوم الدین»

في تفسيره للآية الكريمة «مالِك يوم الدين» يستعرض أولًا القراءات المختلفة ويشرح التركيب الخاص لكل قراءة. وللمثال يقول: من قرأ «مالك» بفتح اللام فقد عدّ الفعل ماضيًا ولذلك اعتبر «يوم» ظرف للفعل الماضي.[1]

«مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ»، من هو مالك ذلك اليوم؟ من هو المقرّر؟ «مالِك» تعني المالكية وكذلك تعني الملكية أي الملك والسلطان وصاحب الأمر والمالك وصاحب القرار. من المهم جدًا أن يعرف المرء أنّه هو «الله» و«الرحمن» و«الرب». إنّنا نحتاجه ليس في هذه الدنيا فقط، بل إنّ مستقبلنا مربوط به أيضًا. إنّه مالك مستقبلنا وآخرتنا وصاحب أمرنا. عندما نغادر هذه الدنيا فلن يكون في العالم الآخر أرباب أو خالق آخر غيره. إذن، مستقبلنا أو آخرتنا أيضًا في قبضة يمينه.

ترجيح قراءة مالک

ترتبط كلمة «يوم» و«يومئذ» في أغلب المواضع التي وردتا في القرآن الكريم بعالم الآخرة (البرزخ والقيامة)، وقد جاءتا بصيغة الظرف، وليس المملوك، وهو تمهيد للاستئناس القرآني يمكن على أساسه أن نعدّ «مالِك يوم الدين» في الآية الكريمة أيضًا ظرفًا وليس مملوكًا كأن نقول مثلًا: قاضي يوم الدين، شفيع يوم الدين؛ إذن الكلام هنا ليس عن كونه تعالى مالك يوم الدين، ويوم الدين مملوك لله، وإنّما المالكية المطلقة لله سبحانه سوف تظهر إزاء جميع الأشياء في ذلك الظرف الخاص، وهذا المعنى أكثر انسجامًا مع قراءة مالك.

وعلى هذا، فمعنى الآية الكريمة «مالك يوم الدين» أنّ الله تعالى في ذلك اليوم مالك الأشياء، ومالكيته

---

[1]. بهابادی، الملا عبد الله، درة المعانی، ص ۱۴.

في ذلك اليوم سوف تظهر للجميع، لا بمعنى أن الله تعالى مالك ذلك اليوم.

استنادًا إلى ترجيح قراءة مالك، يبيّن معنى «مالك يوم الدين» الوجه الإثباتي لتلك الحقيقة، حيث تُظهر الآية الكريمة الأخرى «يوم لا تملك نفس لنفس شيئا و الأمر يومئذ لله»[1] الوجه السلبي لها. وإن كانت المالكية المطلقة لله سبحانه على الأشياء لا تختصّ بعالم الآخرة وحده، ولكن نظرًا إلى أنّ هذه الحقيقة سوف تظهر للجميع عيانًا ويعترفون بها في ذلك اليوم، فإنّ «يوم الدين» يُطرح في الآيات الكريمة كظرف للمالكية الإلهية.

«إياك نعبد وإياك نستعين»

يناقش العلامة الملا عبد الله في تفسير الآية الشريفة «إيّاكَ نعبد وإيّاكَ نستعين» قاعدتين أدبيتين مهمتين. القاعدة الأولى «تقديم ما حقّه التأخير» والتي يُستنبط منها الحصر والاختصاص. مع التوضيح بأنّ تقديم المعمول على العامل أو، تقديم ما حقّه التأخير دليل على الحصر. طبعًا هذا الدليل يكون قائمًا عندما لا يكون التقديم لدواعي سجع الآيات وما شابه، على الرغم من أنّ التقديم أحيانًا يفيد الحصر، وفي نفس الوقت تتم مراعاة سجع الآيات.

يقول كل من الزمخشري والطبرسي والملا عبد الله البهابادي: في الآية الكريمة «إيّاكَ نعبد وإيّاكَ نستعين» تمّ تقديم المفعول لغرض الاختصاص، فمعنى الآية: «نخصّك وحدك بالعبادة، ونخصّك وحدك بالاستعانة».[2]

وفي اختيار هذا السياق الخاص تكمن أسرار نشير إلى بعضها:

أ: فالموحد الذي يعتقد بأنّ الذات الإلهية المقدسة هي الجامعة والمنشأ لكل كمال وجمال، ويعتقد بربوبيته ومالكيته المطلقة، يرى الله تعالى أولًا وقبل كل شيء، ويقدّم «إياك» ليجعل العبادة حقّه الحصري.

ينزع الإنسان عن نفسه حجب الغفلة ولا يرى سوى الله، فيتحدّث عنه أولًا، ومن هنا جاءت كلمة شهيد

---

[1]. سوره الانفطار، الآية ١٩ .

[2]. البهابادي، الملا عبد الله؛ درة المعاني، ص ١٧.

في الآية الكريمة «أولم يكف بربّك أنّه على كل شيءٍ شهيد»[1] بمعنى المشهود لا الشاهد، بمعنى أنّه عندما يلاحظ أيّ شيء يرى الله قبله، ثمّ يرى غيره الذي هو من آياته وتجلياته، وحيث أنّ الله تعالى مشهود غالب على كل الشهود، فقد جاءت كلمة شهيد مجرورة بحرف الجر «على».

ب: العابد الذي يرى المعبود ابتداءً ويعتقد أنّه الجمال المحض والكمال الخالص، لا يشعر بمشقة العبادة وصعوبتها. العبادة في البداية تنطوي على صعوبات ومشقة لسالكي طريق الحق، وعلى هذا الأساس كان الصبر على الطاعة من أتمّ الفضائل ورأس الإيمان: «فإنّ الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد».[2]

في الآيات الأولى من سورة الحمد المباركة يكون الكلام بلغة الغائب، ثم يتحوّل في المقطع الأخير من السورة، الذي يبدأ مع الآية موضع النقاش، إلى لغة الخطاب الحضوري. يسمّى هذا التحوّل في السياق في العلوم الأدبية (علم البديع) الالتفات من الغائب إلى الحاضر، وهو لأغراض المحسنات البديعية وإضفاء جمالية على الكلام، وزمامه يكون بيد المتكلم حيث يسعى إلى تزويق الكلام وتنويعه فيفترض الشخص غائبًا تارةً وحاضرًا أخرى، بيد أنّ الالتفات من الغائب إلى الحاضر في الآية الكريمة ليس تفننًا أدبيًا فحسب ليكون زمام الكلام بيد المتكلم، فيختار بين أن يخاطب الله سبحانه وتعالى بلغة الغائب مرة، وبلغة الحاضر مرة أخرى، وإنّما زمام الكلام بيد المخاطب.

مع التوضيح بأنّ فهم الأسماء الحسنى والقبول بها كما ورد في بداية السورة هو لاستدعاء الإنسان الغائب للمثول بين يدي الله تعالى. عندما يثبت للمرء أنّ الله سبحانه جامع لكل الكمالات الوجودية، وأنّ «الله» الربوبية المطلقة على جميع عوالم الوجود الإمكاني، و«رب العالمين» رحمته المطلقة التي تظلّل كل شيء، و«الرحمن» الرحمة الخاصة للمؤمنين والسالكين، و«الرحيم» وأخيرًا مالكيته اللامتناهية سوف تظهر في يوم الدين، وهو «مالك يوم الدين» ولا موجود غيره يستحقّ الخضوع والخطاب، عندما يؤمن المرء بكل هذه

---

[1]. سورة فصلت، الآية ٥٣ .

[2]. نهج البلاغة، الحكمة ٨٢، الفقرة ٣ .

المعارف، سوف يحضر من غيبته، ويجد نفسه ماثلًا بين الله سبحانه وتعالى، حينئذ فقط سوف يستحق المخاطبة. إذن، التحوّل يحصل في المتكلم من الغيبة إلى الحضور، لا في المخاطب الذي لم يغب أبدًا، بيد أنّ الذي لا يدرك الأسماء الحسنى أو لم يعتقد بها أصلًا لا يستحق المخاطبة، ولا المثول بين يدي الله تعالى، فهو لم يزل غائبًا، على الرغم من أنّ الله تعالى مشهود مطلق.

الجمع والجماعات في الإسلام

تشير صيغة الجمع في «نعبد» و «نستعين» والآيات التي تليها إلى أنّ أصل العبادة وخاصة الصلاة قائمة على مبدأ الجمع والجماعة، فحتى عندما يقوم العبد لربه متضرّعًا ومناجيًا، يجب عليه أن يجد نفسه بين الجماعة، ناهيك عن بقية الأعمال والشؤون الحياتية. وعلى هذا، فإنّ الفردانية أو الأحادية أو الانعزالية وما شابهها من المفاهيم مرفوضة من وجهة نظر القرآن الكريم والدين الإسلامي الحنيف. على الأخص الصلاة بدءًا بالأذان والإقامة التي تنادي إلى الاجتماع للصلاة (حي على الصلاة) مرورًا بسورة الحمد التي نبدأ بها صلاتنا، وانتهاء بالسلام والتشهد (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) كلها تدلّ على أنّ هذه العبادة تنطوي على بعد اجتماعي، بمعنى، يجب أداؤها جماعةً، نعم، الصلاة فرادى صحيحة ومقبولة في الإسلام، إلّا أنّ العبادة الفردية ذات بعد فرعي وتأتي بالدرجة الثانية.

«صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين»

في تفسيره الآية الشريفة «صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين» يستهلّ التفسير بحث حول القراءات[1]، ويواصل مع مبحث النحو والصرف ويقول: «عَلَيْهِمْ» جار و مجرور متعلقان بأنعمت.[2] «غَيْرِ» صفة الذين.[3] «الْمَغْضُوبِ» مضاف إليه. «عَلَيْهِمْ» متعلقان بالمغضوب. «وَ لَا» الواو عاطفة،

---

[1]. البهابادي، الملا عبد الله، درة المعاني، ص ٢٠.

[2]. المصدر نفسه.

[3]. المصدر نفسه.

لا زائدة لتأكيد معنى النفى فى غير.[1] «الضَّالِّينَ» معطوف على المغضوب عليهم مجرور بالياء لأنه جمع مذكر سالم.[2]

سورة الإخلاص المباركة

في تفسير سورة الإخلاص المباركة يستعرض المرحوم الملا عبد الله عددًا من الروايات في شأن نزول السورة وفضلها فيقول أنّ من جملة ما ورد في فضل سورة الإخلاص «أنّها تعدل ثلث القرآن»، فاستنبط العلماء لذلك وجهًا مناسبًا وهو أنّ القرآن مع غزارة فوائده اشتمل على ثلاثة معان فقط: معرفة ذات الله تعالى وتقدّس، ومعرفة صفاته وأسمائه، ومعرفة أفعاله وسننه مع عباده. وهو ما انعكس بنحو أتمّ وأكمل في هذه السورة. ولما تضمّنت سورة الأخلاص أحد هذه الأقسام الثلاثة - وهو النفوس- وازنها رسول الله بثلث القرآن.[3]

وكما ذكرنا فإنّ الطابع الفلسفي الروائي هو الغالب على هذه السورة. ولكنّها مع ذلك لا تخلو من الملاحظات الأدبية. على سبيل المثال، صرّح علماء النحو أن استعمال الضمير هو لرعاية الاختصار في الكلام، ولكن أحيانًا يستعمل الاسم الظاهر بدلًا من الضمير لغرض التأكيد.[4]

يقول السيوطي: الهدف من هذا الاستعمال زيادة التقرير والتمكين؛ مثل «قل هو الله أحد. الله الصمد»، وكذلك المرحوم الملا عبد الله يؤكّد على هذا القول، علاوة على ذلك فإنّ «هو» ضمير فصل وللتأكيد أيضًا.

ويقول في تفسير الآية الكريمة «قل هو الله احد»: «قل» فعل، و فاعل «هو» ضمير شأن يتقدّم قبل الجملة الإسمية مبتدأ، «الله» مبتدأ ثان، «أحد» خبر «الله» والجملة خبر «هو». وهنا يذكّر بقاعدة في اللغة

---

[1]. المصدر نفسه، ص ٢١.

[2]. المصدر نفسه.

[3]. المصدر نفسه، ص ٢٣.

[4]. المصدر نفسه، ص ٢٤.

العربية فيقول: فإن قلت: أين العائد الذي يربط الجملة بالمبتدأ؟ قلت: قالوا: إنّ الخبر إذا كان مفسّرًا للمبتدأ فلا حاجة إلى عائد، وهنا كذلك.[1]

وفي تفسير الآية الكريمة «لم يلد و لم يولد» يقول: اعترض عليه بأنّ سيبويه قد نصّ على أنّ الخبر قد يقدّم على الاسم في باب «كان» ولكن متعلّق الخبر حينئذ لا يقدّم على الخبر، لئلا يلزم العدول عن الأصل بمرتبتين، فكيف قدّم الظرف وهو «له» على الاسم والخبر جميعًا؟

أجاب النحويون: بأنّ هذا الظرف وقع بيانًا للمحذوف كأنّه قال: «ولم يكن كفوًا أحد».[2]

المصادر:

* القرآن الكريم.

* نهج البلاغة.

١. ابن بابويه، محمد بن علي، الامالى، ترجمة: محمد باقر كمرئي، طهران، منشورات كتابچى، ط. ۶، ١٣٧۶.

٢. ـــــــــــــ، عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، طهران، منشورات جهان، ١٣٧٨هـ.

٣. استادى، رضا، تفسير منتسب به امام حسن عسكرى (عليه السلام)، قم: مؤسسة تبيان الثقافية والمعلوماتية، ١٣٨٧.

۴. البحراني، السيد هاشم الحسيني، البرهان في تفسير القرآن، دار الكتب العلمية، قم، ١٣٣۴ ش.

۵. بهشتي، محمد، خدا از ديدگاه قرآن، منشورات مكتب نشر الثقافة الإسلامية، ١٣٧۴، ط. ٧.

---

[1]. المصدر نفسه.

[2]. المصدر نفسه.

٦ . الخميني، السيد مصطفى؛ تفسير القرآن الكريم، منشورات مؤسسة إعداد ونشر تراث الإمام الخميني، ١٤١٨هـ، ط. الأولى.

٧ . رضائي أصفهانى، محمد على؛ منطق تفسير قرآن(١) روش‌ها و گرايش‌هاى تفسير قرآن، منشورات جامعة المصطفى(ص) العالمية، قم، ١٣٨٥ ش.

٨ . السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر، ١٤٠٧هـ، الاتقان فى علوم القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت.

٩ . مكارم شيرازي، ناصر وجمع من الباحثين، تفسير الأمثل، دار الكتب الاسلامية، طهران، ١٣٦٤ ش.

الجهود التفسيرية للعلامة الملا عبد الله اليزدي

عظيم عابديني*

حبيب الله يوسفي**

ترجمة: حسين صافي

ملخص

يضمّ التراث العلمي للمفسر الكبير والفيلسوف الشهير العلامة الملا عبد الله البهابادي اليزدي مصنّفات في علم التفسير. وذلك بالاستناد إلى الوثائق التاريخية التي تشير إلى أنّ العلامة ترك لنا ثلاثة مصنّفات في تفسير القرآن الكريم، أحدها بعنوان التجارة الرابحة وهو عبارة عن كتاب مفصّل في تفسير سورتي الحمد والتوحيد. الكتاب الثاني حاشية على تفسير البيضاوي أو أنوار التنزيل، والكتاب التفسيري الثالث للملا عبد الله البهابادي هو خلاصة لتفسيره التجارة الرابحة، عنوانه درة المعاني ، ومع كونه خلاصة للتفسير الأول إلّا أنّ محتواه يزخر بالملاحظات والإلماعات الجديدة. تركيبة هذا الكتاب موجزة ومجزّأة ومحتواه يعنى بالعلوم الأدبية واللغوية والبلاغية والتجويدية والحديثية والعقلية والمعرفية، ما يشي بالرؤية الاجتهادية للمرحوم البهابادي إزاء علوم تفسير القرآن، وأنّه كان على دراية خاصة في هذا المجال.

الكلمات المفتاحية: تفسير القرآن، الملا عبد الله البهابادي اليزدي، العصر الصفوي.

مقدمة

بعد انتقال النبي الأكرم (ص) إلى الرفيق الأعلى، ترك لأمّته الإسلامية بل للبشرية جمعاء ميراثين عظيمين وخالدين: عترته الطاهرة والقرآن الكريم. وتبيّن سيرة أئمة الشيعة على مرّ التاريخ اهتمامهم الوافر بتراث الثقلين: أعني القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، بحيث صُنّفت مئات الآلاف من الكتب في تدوين وشرح

* دكتوراه فلسفة من جامعة طهران، وعضو الهيئة العلمية في جامعة العلوم الطبية بكاشان.

* عضو الهيئة العلمية في جامعة العلوم الطبية بكاشان.

أحاديث العترة الطاهرة وتفسير آيات القرآن الكريم لإثراء عالم العلم والمعرفة. صحيح أنّ معظم هذه المصنّفات قد ضاع وفُقد بسبب عوادي الزمان والوقائع التاريخية المريرة والاضطهاد المتواصل الذي مورس ضدّ الشيعة، لكن مع هذا، وفي ضوء الأعمال المطبوعة والمخطوطات المتاحة التي تتناول موضوع الثقلين اللذين أوصى بهما النبي الأكرم (ص)، ونظراً إلى البحث والتحرّي في الفهارس والببليوغرافيا، نجد أنّ قسماً عظيماً من تراث الشيعة ما يزال محفوظًا ومصانًا من التلف والضياع، وهو مدعاة فخر واعتزاز لعالم التشيّع.

إنّ تصنيف الكتب المفيدة هو من بين الخطط التي اتّبعها رجال الدين الشيعة والحوزات العلمية بغية رفع مستوى علوم المسلمين واستنهاض الشيعة وتحفيزهم للثبات والصمود بوجه حملات الخصوم عبر التاريخ.[1] وعلى العكس من الاتهامات الباطلة التي تسوقها الوهابية للشيعة في العصر الراهن، لم يكن علم التفسير ولن يكون مهجوراً، وأنّ الشيعة قدّموا خدمات صادقة وعظيمة لكتاب الله.

تمتاز المصنّفات القرآنية لغير الشيعة بأنّها تعنى بالمباحث التمهيدية والجانبية للتفسير مثل الآداب، والنحو، والبلاغة، والتجويد، وعلم القراءات، وتاريخ النزول وغيرها. وعلى صعيد تدوين الحديث، فإنّ جمهرة الأحاديث الموضوعة والإسرائيليات قد فرّغت ظاهر القرآن من قيمته، وأنّ التمسّك الصارم بالنهج التأويلي في بعض تفاسير أهل السنّة كتفسير البيضاوي أدّى إلى إبعاد القرآن عن هداية الخلق، أمّا الشيعة، فمع عنايتهم بالعلوم التمهيدية القرآنية، وبذلهم الجهود الكبيرة في هذا المجال وتوصلهم لنتائج جيدة، إلّا أنّهم أدّوا الأمانة في صيانة مقاصد الله من كلامه حقّ أدائها، بحيث تجد آراءهم التفسيرية أقل اختلافاً وأكثر منطقية ومعقولية، على العكس من آراء أهل السنّة التي يشوبها التناقض والتعارض بوفور. فحينما نقارن بين كتاب تفسيري لقدماء الشيعة مع آخر قديم لأهل السنّة، مثلاً حقائق التأويل للشريف الرضي مع تفسير الطبري، أو كتاب تفسيري من العصر الإسلامي الوسيط مثل مجمع البيان للعلامة الطبرسي مع التفسير الكبير للفخر الرازى أو تفسير معاصر مثل

---

[1]. صافى گلپايگانى، لطف الله، سير حوزه‌هاى علميه، ص ٨٩.

الميزان للعلامة الطباطبائي مع روح المعاني للآلوسي سيتبيّن لنا بسهولة صحّة ما نقول.

وبالنسبة للعصر الصفوي، عصر ازدهار العلم والمعرفة وعصر الإنتاج الزاخر للمصنّفات العلمية في مختلف الحقول، فقد واصلت الجهود التفسيرية الجبارة للشيعة تألّقها وصعودها،[1] وظهر في هذا العصر مفسّرون كبار ملأت شهرتهم الآفاق مثل الفيض الكاشاني أو ميرداماد، وإلى جانب هؤلاء كان هناك مفسّرون مغمورون مثل العلامة المرحوم الشيخ الملا عبد الله البهابادي اليزدي، الذي قلّما عُرف نشاطه التفسيري على الرغم من جهوده الحثيثة وإلمامه الشديد في هذا الحقل، وهو ما يحاول هذا المقال تسليط الضوء عليه والتعريف بالأبعاد التفسيرية في سيرة هذا العالم الجليل والمفسر الخالد. في البداية، يبيّن المقال أهمية تفسير القرآن وريادة الشيعة في هذا العلم الشريف، ثم يشرح أهمية سورة الفاتحة بصورة خاصة.

تتّضح أهمية تناول هذا الموضوع في مقالنا إذا ما علمنا أنّ اثنين من الكتب التفسيرية الثلاثة التي وصلتنا من العلامة الملا عبد الله البهابادي تبحث في هذه السورة المباركة بالإضافة إلى سورة التوحيد المباركة، فيما التفسير الثالث عبارة عن حاشية على تفسير البيضاوي ويشمل حتمًا سورة الفاتحة المباركة. من هنا تلحّ الضرورة على اختيار هذا المدخل. بعد ذلك يستعرض المقال الكتب التفسيرية الثلاثة لعلامة بهاباد، وسوف يتحدّث بتفصيل أكبر عن درة المعانى في المبحث المتعلق به لكونه لبس حلّة الطبع.

ريادة الشيعة في علم تفسير القرآن

علم تفسير القرآن من العلوم المباركة التي كانت وما تزال ذات فوائد كثيرة في حياة المسلمين، والشيعة منهم بصورة خاصة، الذين برعوا في مختلف مناحي علوم التفسير مثل علم القراءة، التجويد، الإعجام والتشكيل، التدوين، فضل القرآن، معاني القرآن، غريب القرآن، مجازات القرآن، أمثال القرآن، أحكام القرآن وغير

[1]. صفا، ذبيح‌الله، تاريخ ادبيات در ايران، ج٥، بخش اول.

ذلك، ولهم تاريخ طويل في هذا العلم، إن لم نقل أنّهم من مؤسّسي هذه العلوم.[1]

خصوصية تفسير سورة الفاتحة

لسورة الفاتحة المباركة الكثير من التفاسير.[2] ومردّ ذلك السمات الخصيصة التي تتمتّع بها. فثمة شمولية وجامعية فريدة تنطوي عليها هذه السورة، وتستبطن هذه الجامعية الفريدة مفاهيم عامة من العلوم الدينية والمعارف الإلهية. إنّها صورة مصغرة للقرآن الكريم، عنوان مجمل تفصيله القرآن الكريم.[3] ونظراً لهذه الجامعية أطلق عليها لقب أم الكتاب.[4] ونُقل عن أهمية فاتحة الكتاب وعظم منزلتها وجزيل ثواب قراءتها الشيء الكثير فقد جاء في الحديث النبوي الشريف: «من قرأ الفاتحة فكأنّما قرأ ثلثي القرآن و كأنّما تصدّق على كلّ مؤمن و مؤمنة... و هي أم القرآن و السبع المثاني .... و هي أفضل سورة في كتابه و هي شفاء من كل داء».[5]

ثمّة اختلاف حول ما هي أولى آيات الوحي المنزل، حيث تشير بعض الأقوال إلى أنّ سورة الحمد هي أولى السور النازلة،[6] ويجمع المفسرين على أنّ أول سورة كاملة نزلت هي فاتحة الكتاب.[7] على أيّ حال، فإنّ هذه السورة المباركة تحظى بأهمية استثنائية وخصائص فريدة عديدة.

الجهود التفسيرية للملا عبد الله اليزدي

لقد ترك العلامة البهابادي اليزدي بضعة تصانيف معظمها لم يطبع للأسف. وفي حقل التفسير ترك العلامة عدداً من المصنّفات النفيسة تمّ التعرّف على ثلاثة منها، سوف نتناولها في بحثنا الراهن.

---

[1]. الصدر، السيد حسن، تأسيس‌الشيعه، صص۳۱۵ إلى ۳۴۷.

[2]. راجع عدداً منها في: طهرانى، آغا بزرگ، الذريعه، ج ۴، صص ۳۳۸ إلى ۳۴۸.

[3]. الأميني، تفسير فاتحة الكتاب، ترجمة: قدرت الله حسيني، ص ۳۱.

[4]. تفسير فاتحة الكتاب، أحد رجال الدين في عصر الملا محسن الفيض الكاشاني، ص ۲۳.

[5]. شريف كاشاني، الأنوار السانحه(متضمّن في رسائل فى تفسير سوره الفاتحه)، ص ۸۷۷.

[6]. حجتي، السيد محمد باقر، پژوهشى درباره قرآن، صص ۴۴ إلى ۴۶.

[7]. معرفة، محمد هادي، علوم قرآنى، ص ۷۶.

أ: التجارة الرابحة

التجارة الرابحة فی تفسیر السورة و الفاتحة أشهر مصنّف للملا عبد الله في علم التفسير. وكما يظهر من عنوان الكتاب فهو في تفسير سورتي الحمد والتوحيد المباركتين. لقد أشار المرحوم اليزدى إلى هذا التفسير في بداية كتابه شرح الألفية[1] ومن الواضح أنّه تفسير مفصّل ومسهب، نظراً إلى أنّ الكتاب الثالث للملا عبد الله هو خلاصة لهذا التفسير.

ب: حاشية على تفسير أنوار التنزيل

القرآن الكريم كتاب عالمي وكامل وخالد،[2] ولذلك تصنّف التفاسير التي تُخرج القرآن من هذه الصفات، أعني، العالمية والكمال والخلود، بأنّها تفاسير مضرّة لا طائل من ورائها. البيضاوي الشيرازي عالم شهير من علماء أهل السنّة، كتب تفسيراً عنوانه أنوار التنزيل ضمّنه كثيراً من الآراء المغلوطة. وقد دوّن العديد من علماء الشيعة حواشي على هذا التفسير لنقد تلك الآراء المغلوطة وردّها. من هؤلاء العلماء الملا عبد الله اليزدى الذي كان له إلمام واسع بعلوم عصره، الذي كتب حاشية على هذا التفسير. وعلى العكس من تفسير التجارة الرابحة الذي لم يُعثر له على مخطوطة، فقد حُفظت مخطوطة حاشية اليزدي على أنوار التنزيل حتى عصرنا الراهن.[3]

ج: درة المعاني

درة المعاني رسالة في علم التفسير وملخص لتفسير التجارة الرابحة للملا عبد الله اليزدي. وهو المصنّف التفسيري الوحيد لليزدي الذي حظي بفرصة الطبع، ويمكن أن يمدّنا بمعلومات وفيرة وقيّمة، ويكشف لنا، إلى حدّ ما، عن المشارب التفسيرية المختلفة لليزدي، الصرفية، والنحوية، واللغوية، والبلاغية، والعرفانية، والفلسفية،

---

[1]. طهراني، آغا بزرگ، الذريعه، ج ۳، ص ۳۴۸. العدد ۱۲۵۶.

[2]. الطباطبائي، السيد محمد حسين، قرآن در اسلام، صص ۲۰ إلى ۲۴.

[3]. طهراني، آغا بزرگ، الذريعه، ج ۴، ص ۲۷۸ و ج ۶، صص ۴۱ و۴۲.

والفقهية .. وغيرها. الاسم الكامل لهذه الرسالة درة المعاني في تفسير سورة الإخلاص و السبع المثاني.[1] إنّه تفسير مقتضب، وكما ذكرنا خلاصة لمصنّف آخر مفصل ومبسوط للمؤلف عنوانه التجارة الرابحة.

كتب الملا عبد الله البهابادي هذا الكتاب لإحدى الشخصيات واسمه السيد عبد المطلب. ويبدو من ظاهر عبارته أنّ هذا الشخص كان ذا منصب حكومي وقريب من الوالي، وربما كان السيد عبد المطلب هذا أحد الأمراء الصفويين فكتب الملا عبد الله باسمه. وإن كان الاحتمال الأرجح أنّ هذا الشخص هو السيد عبد المطلب المشعشعي من حكام إقليم خوزستان الذي كانت له رحلة إلى الحج ثمّ عرج على العتبات المقدسة في العراق في سنة ٩٧٢هـ فالتقى الملا عبد الله البهابادي في النجف الأشرف الذي كان سادن الحرم العلوي الشريف، أو، قل إن شئت، كان حاكم مدينة النجف الأشرف، وكانت للرجلين لقاءات وزيارات متبادلة، فطلب من المرحوم الملا عبد الله اليزدي، وكان من العلماء البارزين في عصره، أن يصنّف كتابًا في تفسير سورتي الحمد والتوحيد.

توفي السيد عبد المطلب في سنة ١٠١٩هـ، وخرج من ذريته حكامًا وعلماءً.[2] ذكر العلامة البهابادي اسم السيد عبد المطلب مرتين، وسبب ذكره في المرة الثانية أنّ جماعة من الجهلة والسوقة تعرّضوا له بالأذى والمضايقة فاستشهد بالسيد عبد المطلب معبّرًا عنه بالمدافع عنه في مقابل الجهلة.[3]

الملاحظة الأخرى التي يمكن أن نستشفها من الرسالة هي أنّ المرحوم شهاب الدين البهابادي اليزدي، والد الملا عبد الله البهابادي مدفون بكربلاء ويشيد ابنه الملا عبد الله به مذكرًا بحسن تربيته له فيذكر أنّه مدفون عند شهيد هذه الأمة، في إشارة إلى حديث الرسول الأكرم (ص) في وصفه لسبطه الشهيد الإمام الحسين (ع) بأنّه «شهيد هذه الأمة».

---

١. البهابادي، الملا عبد الله؛ درة المعاني (متضمَّن في رسائل فى تفسير سورة الفاتحة)؛ ص٧٦.
٢. طهرانى، آغا بزرگ؛ الروضة النضرة، ص ٣٥٧.
٣. البهابادي، الملا عبد الله؛ درة المعاني (متضمَّن في رسائل فى تفسير سورة الفاتحة)؛ صص ٧٥ و ٩٩ و ١٠٠.

أسباب نسبة درة المعاني إلى الملا عبد الله

يقول محقّق رسالة درة المعاني كلامًا عجيبًا في هذا الكتاب وهو: لمصنّف درة المعانى الذي يشابه اسمه ونسبه الملا عبد الله البهابادي كتابًا آخر في تفسير سورتي الفاتحة والتوحيد عنوانه التجارة الرابحة.[1] وعلى هذا الأساس، يظهر لنا هنا شخص مجهول يشبه اسمه ولقبه ونسبه (نظرًا إلى أنّ المرحوم البهابادي كان يسمّى خطأً الشهابادي) المرحوم البهابادي، بل يشبهه حتى في تأليفه لكتاب في تفسير سورتين من القرآن الكريم. وكل هذه المحاولات المستميتة من قبل المحقّق هي لأنّه قد توصّل إلى أنّ الملا عبد الله البهابادي توفي في ٩٨١هـ وأنّ تصنيف الرسالة كان في سنة ٩٩٢هـ. نعم، إنّها ملاحظة جيدة واستنتاج صائب يستحقّ الاهتمام، إلّا أنّ سبب هذا الخطأ والالتباس هو أنّ الإعجام لم يكن شائعًا في المتون العربية القديمة، فلدينا حاليًا مصنّفات لشخصيات من القرنين العاشر والحادي عشر خالية من الإعجام أو إنّها تحتوي على أقل مقدار منه.[2] ولذا، تواجهنا مشكلة اسمها التصحيف، وهي تشابه الأسماء والكلمات، ومثالها الأبرز هنا تبادل موقعي لفظي سبعين وتسعين في اللغة العربية، فعندما يُرسمان بدون إعجام أو تنقيط، سوف يتشابه رسمهما ويختلط الأمر على القارئ. فتاريخ تصنيف المرحوم البهابادي اليزدي لرسالته هو «اثنين و سبعين و تسعمائه»[3] (٩٧٢هـ) أي قبل عقد تقريبًا من وفاته، في حين قام مصحّح المتن، وقبله ناسخ المتن، بتغيير سبعين إلى تسعين ليصبح تاريخ تدوين الرسالة ٩٩٢هـ. أضف إلى ذلك أنّنا لا نعرف شخصًا في القرن العاشر الهجري باسم الملا عبد الله الشهابادي غير صاحبنا المرحوم البهابادي،[4] كما أنّه في القرن الحادي عشر أيضًا (على افتراض أنّ مؤلفنا المجهول هذا قد عاش في بداية القرن الحادي عشر) لا يوجد شخص بهذا الإسم واللقب،[5] اللهم إلّا شخص واحد باسم الملا عبد الله اليزدي وهو ابن الملا طاهر ووالد عبد المطلب ومن أعقاب المترجم له الملا عبد

---

١. رسائل فى تفسير سوره الفاتحه، ج ١، ص ٧١.

٢. مثلا أنظر إلى ملاحظات ميرداماد من علماء القرنين ١٠ و ١١، في نهاية كتاب مناهج الشارعين لحفيده مير عبد الحسيب العاملى.

٣. رسائل فى تفسير سورة الفاتحة، ج ١، ص ١٠٠.

٤. أنظر: طهرانى، آغا بزرگ؛ إحياء الداثر (من سلسلة طبقات أعلام الشيعة)؛ صص ١٢٨ إلى ١٣٥.

٥. طهرانى، آغا بزرگ؛ الروضة النضرة، صص ٣٤٠ إلى ٣٥٦.

الله اليزدي.[1]

الملاحظة الأخرى التي أشار إليها المحقّق وإن لم يؤيّدها هي احتمال أن يكون مصنّف الرسالة الملا عبد الله الشوشتري المتوفى في ١٠٢١هـ بأصفهان. وهو من مشايخ العلامة المجلسي الأول وذو ميول أخبارية. من المعلوم أنّ المفسّرين على درجات ومراتب مختلفة، ويشكّلون طيفًا واسعًا يضمّ الثقة والمنحرف الكذاب،[2]ومن حيث أنّ المدرسة الأخبارية الظواهرية تنظر إلى القرآن الكريم أنّه قطعي الصدور وظنّي الدلالة، فهي بهذا التسويغ تغلق الباب دون التدبّر والتفكير الوافي واكتشاف لآلئ الصدفات القرآنية اللامحدودة.

صحيح أنّ ثمّة قواعد وقوانين لمنهج الاستنباط من القرآن الكريم،[3]غير أنّ ما يطرحه الأخباريون يجعل من فهم معاني القرآني أحاجي يصعب فك رموزها، وبذلك يحصرون تفسيره في الأئمة (عليهم السلام) وحدهم،[4] ولا حاجة بنا إلى بيان عدم صوابية هذا الرأي وانطوائه على إشكالات عدّة تترتّب عليها نتائج باطلة.[5] إنّ إطلالة سريعة على كتاب درة المعانى توضّح لنا أنّ مصنّفه ليس بإخباري المشرب، فضلاً عن توجيهه نقدًا غير مباشر إلى المدرسة الأخبارية التي كان تشهد صعودًا في ذلك العصر.[6] لهذا السبب، لا يوجد مبرّر خاص لسلب انتساب درة المعاني من الملا عبد الله البهابادي اليزدي، عدا عن وجود أدلة كثيرة تفيد بانتساب هذه الرسالة إليه.

تركيبة الدرة ونظرة في مضامينها

---

١. المصدر نفسه، ص ٣٥٣.

٢. الملا صدر الدين الشيرازي، تفسير القرآن الكريم، ج ١، صص ٢٨ إلى ٣٢.

٣. انظر: بهشتى، السيد محمد، روش برداشت از قرآن. صفايى، على، روش برداشت از قرآن.

٤. الاسترآبادي، محمد أمين، الفوائد المدنيه، ص ٤٧.

٥. جوادي، عبد الله، تسنيم، ص ٨٨ إلى ٩٨.

٦. مثلا انظر: البهابادي، الملا عبد الله، درة المعاني (متضمَّن في رسائل فى تفسير سورة الفاتحة)، درة المعاني، صص ٩٤ و ٩٨.

دُوّن كتاب درة المعاني باللغة العربية، على غرار التجارة الرابحة، ويقع في بابين، أفرد كل باب لتفسير إحدى السورتين وبحسب ترتيبهما. المصنّف وهو أديب نحرير طرح العديد من المباحث اللغوية والأدبية والبلاغية، واقتبس الكثير من تفسير مجمع البيان للمرحوم الطبرسي الذي يزخر بالموضوعات الأدبية. كما تأثّر بكتاب البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي. البعد الأدبي والبلاغي في القرآن الكريم وإن كان أحد وجوه الإعجاز إلّا أنّه ليس كلّ الإعجاز[1] بل تعدّدت وجوه إعجازه وتنوعّت بفعل حالة الاختلاف بين الناس في الأوضاع والأطوار والأنساق والمعارف والأمور التي يأنسونها، ولا شك في ذلك فوائد.[2] خلاصة الكلام، أنّ الصبغة الأدبية لتفسير المرحوم البهابادي تشي بإحاطة صاحبنا بآداب اللغة العربية ومصادرها. وبعد أن نتجاوز هذا البحث العميق والدقيق، يحسن بنا التذكير بأنّ الصبغة الأدبية والبلاغية لتفسير سورة الفاتحة أكثر قوة وشدّة مقارنة بأختها سورة التوحيد، مضافاً إلى المباحث الفقهية التي نجدها بوفور في هذا التفسير. لقد قيل الكثير عن براعة المرحوم اليزدي وإلمامه بعلم الفقه، ومن بين المواضع التي يتناول فيها مبحثًا فقهياً باب الجهر بالبسملة.[3] كما أنّ الكتاب لا يخلو من الأحاديث ولكن وفق نهج خاص وهو ذكر سلسلة الأسانيد في تأكيد منه على أهمية ذكر رواة الحديث الذين لهم الفضل في وصول الأحاديث إلينا، وقد نُقل عن العلامة الطباطبائي اتباعه لهذا النهج. وبلغت عنايته بالأحاديث مبلغًا أن كان يقول بعد الإتيان بنص الحديث: وهذا آخر الحديث وهو لعمري قد اشتمل على أمهات مطالب، وكيف لا وقد صدر من مصدر التحقيق غصن شجرة النبوة. ثم يواصل ويأتي بنص حديث آخر ويقول: أقول – وبالله التوفيق– هذان الكلامان لم يتركا لأرباب علم الكلام مراماً، ولا لآية الكشف إلهامًا وإعلامًا، بل احتويا على كل الحقائق والدقائق، ومتى ما طلب من أراد الكشف عن حقائقها من التفات اللوائق، كشفتُ له – مع قصر باعي وقلة بضاعتي وعدم دراعي– ما لا

---

١. البلاغی، محمد جواد، آلاء الرحمن، ج١ (متضمَّن في موسوعة العلامة البلاغي)، صص ٢٣ إلى ٤٣. تاريخ و علوم قرآن، میرمحمدی زرندی، السيد أبو الفضل، تاريخ و علوم قرآن، صص ٢٢٥ إلى ٢٥٢.

٢. البلاغي، محمد جواد، آلاء الرحمن، ج١ (متضمَّن في موسوعة العلامة البلاغي)، ص ٢٤.

٣. البهابادي، الملا عبد الله، درة المعاني (متضمَّن في رسائل فی تفسير سورة الفاتحة)، ص ٧٩.

يبقى له بعده إلى هذين العلمين داع.[1]

في تفسيره هذا بعض الإشارات الفلسفية.[2] كما أنّه لا يخلو من مطالب عرفانية، ذلك أنّ للعرفاء كلام دقيق وعميق حول وحدة الحمد والحامد والمحمود مفاده أنّ جميع المحامد تختصّ بالله تعالى وحده. يقول الإمام الراحل في شرح هذه الكلام: «أنّ جميع أنواع المحامد مختصّة بالذات الإلهية المقدسة. اعلم أيّها العزيز أنّ هذه العبادة الشريفة تنطوي على سرّ التوحيد الخاص، بل سرّ توحيد أخص الخواص، واختصاص كافة محامد الحامدين بالحقّ تعالى عند أصحاب الحكمة وأئمة الفلسفة العالية أمر واضح وبيّن استنادًا إلى البرهان، فمن الثابت برهانيًا أنّ دار التحقق كافة هي ظلّ حضرة الحق المنبسط وفيضه المبسوط، وأنّ جميع النعم الظاهرة والباطنة من أيّ منعم كانت - بحسب ظاهرها وفي أنظار العامة- هي من الحق تعالى جلّ وعلا، لا يشاركه في ذلك أحد من الموجودات، حتى «مشاركة إعدادية» ذلك عند أهل الفلسفة العامية، ناهيك عن الفلسفة العالية.

إذن لما كان الحمد بإزاء النعمة والإنعام والإحسان، ولمّا لم يكن من منعم في دار التحقق سوى الحق تعالى، لذا فإنّ جميع المحامد تختصّ بالحقّ تعالى. ولمّا لم يكن من جمال وجميل سوى جماله وسواه، لذا صارت المدائح ترجع إليه أيضًا. وبعبارة أخرى نقول: إنّ كل حمدٍ ومدح ومن أيّ حامد ومادح كان صادرًا، إنّما هو في إزاء تلك الجهة من النعمة والكمال دون أن يكون لمحل ومورد النعمة والكمال الذي ينقص النعمة والكمال ويحددها أيّ نصيب من الثناء والمدح بأيّ وجه، بل لعلّ ذلك مما يُنافي المدح والثناء ويضادهما.

إذن، فجميع المحامد والمدائح هي من نصيب الربوبية - الذي هو الكمال والجمال- ولا نصيب للمخلوق - وهو النقص والتحديد- منه. وبأسلوب آخر، فإنّ الثناء على الكامل والشكر والحمد للمنعم هي من الأمور الفطرية الإلهية التي فُطر عليها الخلق جميعًا، كما إنّ التنفّر من النقص والناقص ومنتقص النعمة من الأمور الفطرية

---

[1]. المصدر نفسه، صص ٩٨ و٩٩.

[2]. أنظر: ص ٩٧.

الإلهية. لما كانت النعمة الخالصة من شائبة أو نقص، والجمال والكمال التام المنزّه عن كل نقص، تختصّ بالحقّ تعالى، وإنّ سائر الموجودات تنقص النعم المطلقة والجمال المطلق وتحددها ولا تزيدها وتؤيّدها، لذا فإنّ فطرة كل الناس هي الثناء والمدح لذاته المقدسة، والتنفر من سائر الموجودات، إلّا أن تكون - تلك الموجودات – قد فنت في ذات ذي الجلال - بحسب سيرها في ممالك الكمال ومدن العشق – فيكون عشقها وحبها والثناء عليها هو عين العشق للحق تعالى والثناء عليه "حبّ خاصة الله هو حب الله".»[1]

لقد ذكر هذا المطلب علماء كبار آخرون مثل العلامة الطباطبائي.[2] ويعبّر العلامة البهابادي أيضًا عن هذه المسألة بأسلوب لطيف قائلًا: «جميع المحامد... من أيّ حامد كان، على أيّ محمود عليه كان، فهو لله تعالى».[3] ويعكس هذا المطلب الرؤية العرفانية للمرحوم اليزدي، وهو ما ظلّ مستترًا، لكنّا لا نعلم إن كان الملا عبد الله قد نشأ وترعرع في حضن التيار العرفاني بالنجف، أم نهل من ينابيع المدرسة العرفانية بشيراز.

من ثنايا درة المعاني نستخرج ملاحظات أخرى، منها أنّ التجارة الرابحة كتاب مفصّل وكبير كما ذكر ذلك العلامة البهابادي مرارًا في كتاب الدرة.[4] الملاحظة الثانية هي أنّه في هذا التفسير ذُكر عدد من العلوم.[5] كما توجد في التجارة الرابحة أيضًا مطالب عرفانية وسلوكية، حيث يقول في ختام تفسير سورة التوحيد: ومن أراد الوقوف على بعض نكات أسرار هذه السور فليطالع التجارة الرابحة في تفسير السورة والفاتحة[6] هذه السورة التي لولا الخشية من الإطناب لذكرت جميع مطالب التوحيد الإلهي في تفسيرها.[7]

النقطة الختامية هي أنّ المرحوم البهابادي كان من أهل الأوراد والأذكار، وقد ختم رسالته بذكر مبارك

---

١. الخميني، روح الله، تفسير سورة الحمد، صص ٢٩ و ٣٠.
٢. الطباطبائي، السيد محمد حسين، الميزان، ج ١، ص ١٦.
٣. البهابادى، الملا عبد الله، درة المعانى (متضمّن في رسائل فى تفسير سورة الفاتحة)، ص ٨٣.
٤. المصدر نفسه، صص ٨٤ و٩٣.
٥. المصدر نفسه، ص ٧٩.
٦. المصدر نفسه، ص ١٠٠.
٧. المصدر نفسه، ص ٩٨.

أوصى به السيد عبد المطلب أن يواظب على قرائته، حيث يقول: وكنتُ أريد لهذا السيد السند – الذي دلّ فعله على أنّه من أولاد محمد المصطفى عليه وآله صلوات العلي الأعلى– بعض الأوراد الخفيفة المؤونة، الكثيرة الثواب، فلم أر له أكثر تكرار هذه السورة وأن يقول: الله صلّ على محمد وآل محمد كما صلّيت على إبراهيم وآل إبراهيم.[1]

نتيجة البحث

يتبيّن لنا ممّا تقدّم من ملاحظات في هذه الورقة أنّ العلامة المرحوم الملا عبد الله البهابادي اليزدي الذي كان ضليعًا في الكثير من العلوم والمعارف، كانت له محاولات وجهود كبيرة في علم تفسير القرآن الكريم، وقد ترك لنا عددًا من المصنّفات في هذا المجال. ووفقًا للمصادر المتاحة فقد تعرّفنا على ثلاثة أمثلة من هذه المصنّفات، واحد منها فقط لبس حلّة الطبع عنوانه درة المعاني وهو خلاصة لتفسير آخر له بعنوان التجارة الرابحة ويعدّ التفسير الوحيد المطبوع للعلامة البهابادي، ولهذا العالم الجليل تفسير ثالث مستقل ومبسوط عنوانه تفسير سورتي الحمد والإخلاص، قام بتلخيصه، وفي ذلك دلالة على حاجة العصر إلى معرفة تفسير هاتين السورتين الشريفيتين وأهميتهما من منظار الملا عبد الله نفسه. أسلوب تفسير درة المعاني من حيث المضمون يشمل الأبعاد الأدبية والبلاغية والروائية والمعرفية.

---

[1]. المصدر نفسه.

المصادر:

١ . الأميني، تفسير فاتحة الكتاب، ترجمة: قدرت الله حسيني، طهران: مكتبة آل امام علي (ع)، ١٤٠٤هـ.

٢ . بلاغي، محمد جواد، آلاء الرحمن، ج١ (متضمَّن في موسوعة العلامة البلاغي)، قم: أكاديمية العلوم والثقافة الإسلامية، ١٤٢٨هـ.

٣ . البهابادي، الملا عبد الله، درة المعاني (متضمَّن في الرسائل في تفسير سورة الفاتحة)، قم: أكاديمية العلوم والثقافة الإسلامية، ١٤٢٧هـ.

٤ . بهشتي، السيد محمد، روش برداشت از قرآن، طهران: جمال، بلا تاريخ.

٥ . تفسير فاتحة الكتاب، أحد رجال الدين في عصر الملا محسن الفيض الكاشاني، طهران: جمعية الحكمة والفلسفة الإسلامية، ١٣٦٠.

٦ . جوادي، عبد الله، تسنيم، قم: اسراء، ١٣٧٨.

٧ . حجتي، السيد محمد باقر، پژوهشى درباره قرآن، ج١، طهران: نهضت زنان مسلمان، بلا تاريخ.

٨ . الخميني، روح الله، تفسير سوره حمد، مؤسسة نشر تراث الإمام، ط. ٢، ١٣٧٥.

٩ . شريف كاشاني، الأنوار السانحة (متضمَّن في رسائل في تفسير سورة الفاتحة)، قم: أكاديمية العلوم والثقافة الإسلامية، ١٤٢٧هـ.

١٠ . صافي گلپايگاني، لطف الله، سير حوزه‌هاى علميه، قم: مركز إعداد ونشر تراث آية الله الصافي، ١٣٨٨.

١١ . الصدر، السيد حسن، تأسيس الشيعة، طهران: اعلمى، بلا تاريخ.

١٢ . صفا، ذبيح الله، تاريخ ادبيات در ايران، ط. ١١، طهران: فردوس، ١٣٧٩.

١٣ . صفائي، علي، روش برداشت از قرآن، قم: ليلة القدر، ١٣٨٩.

١٤ . الطباطبائي، السيد محمد حسين، الميزان، بيروت: الأعلمي، ط. ٣، ١٣٩٣هـ.

١٥. ـــــــــــ ؛ قرآن در اسلام، قم: مكتب النشر الإسلامي، ١٣٦١.

١٦. طهراني، آغا بزرگ؛ إحياء الداثر(من سلسلة طبقات أعلام الشيعة)؛ قم: اسماعيليان، بلا تاريخ.

١٧. ـــــــــــ ؛ الذريعة إلى تصانيف الشيعة؛ بيروت: الأضواء، ١٤٠٩هـ.

١٨. ـــــــــــ ؛ الروضة النضرة (من سلسلة طبقات أعلام الشيعة)؛ قم: اسماعيليان، بلا تاريخ.

١٩. معرفة، محمد هادي؛ علوم قرآني؛ قم: تمهيد، ١٣٧٨.

٢٠. الملا صدر الدين الشيرازي؛ تفسير القرآن الكريم؛ قم: بيدار، ط. ٢، ١٣٦٦.

٢١. مير محمدي زرندي، السيد أبو الفضل؛ تاريخ و علوم قرآن؛ قم: مكتب النشر الإسلامي، ١٣٦٣.

الملا عبد الله البهابادي اليزدي في الذريعة

محمد علي نجفي *

حسين صافي

مقدمة

الذريعة هو المصنَّف الشيعي الأكثر تفصيلاً ونفعًا وشهرةً الذي دُوّن على مدى تاريخ الحضارة الإسلامية، وهو عبارة عن فهرس بالمصنّفات الشيعية المدوّنة، المطبوعة منها والمخطوطة. مؤلف هذا الكتاب النفيس والموسوعة النادرة هو الشيخ آغا بزرك الطهراني الذي بذل على مدى عقد كامل جهودًا مدهشة وعظيمة استطاع خلاله أن يدوّن موسوعة مؤلفة من ٢٩ مجلدًا تحتاجها جميع المكتبات المعتبرة في العالم.

دأب المرحوم الطهراني في موسوعته على تقديم تقارير مقتضبة في معظم الأحيان لكنّها مفيدة للغاية، حول المصنّفات العلمية الشيعية، وفي أحيان قليلة كان يبسط الكلام فتميّزت مداخل البحث المتنوعة بقيمة وغنى لا يوصفان. ذكر هذا المؤرّخ العظيم والموسوعي الشهير في بعض مجلّدات موسوعته فهرسًا بتصانيف العلامة الملا عبد الله اليزدي، وقد تكرّر ذلك أكثر من ٥٠ مرة. نسعى في هذه الورقة إلى إلقاء نظرة سريعة على سيرة وحياة الشيخ آغا بزرك والملا عبد الله اليزدي وتقديم نبذة دقيقة عن الذريعة، لنتحرّى بعد ذلك المواضع التي ذُكر فيها الملا عبد الله، طبعًا مع بيان أهمية تصانيف المرحوم اليزدي في العلم أو المحور موضع النقاش.

ولمزيد فائدة، نضرب صفحًا عن الترتيب المذكور فيه الملا عبد الله ابتداءً من المجلد الأول إلى المجلد الرابع والعشرين، معتمدين في طرح ملاحظاتنا تصنيفًا رباعيًا يضمّ: البلاغة والكلام والمنطق والفقه. ونظرًا للأهمية الوافرة لـ حاشية الملا عبد الله، سوف نتناولها بصورة مستقلة ونتطرّق إلى شروحاتها، ثم نشير في ختام المقال

* باحث في الحوزة العلمية.

إلى بعض الملاحظات مثل التصحيف الحاصل حول كلمة «شهابادي» و«شاه آبادي» و«البهابادي» في اسم الملا عبد الله.

١. الشيخ آغا بزرك الطهراني

العلامة الشيخ آغا بزرك الطهراني من مفاخر عالم التشيّع والإسلام. تميّز هذا العالم القدير والفطحل بغزارة علمه وتواضعه الجمّ وأدبه وخلقه الرفيع وروحه العالية الوثّابة وخدماته الجليلة والوافرة للدين والمذهب. لقد بلغت محاسنه ومحامد أخلاقه وخدماته حدًّا لا يمكن معه الإحاطة بها في بضعة سطور أو صفحات. لقد دوّنت العديد من المصنّفات في بيان سيرته[١]، لذا سوف نعمد هنا، بدلًا من الإطناب في شرح سيرة فقيدنا الغالي، إلى اقتباس قول للأديب النحرير والباحث القدير خالد الذكر جلال الدين همائي في وصف عِظم منزلة الشيخ آغا بزرك وخدماته الإسلامية الجليلة التي لا تقلّ عن خدمات علماء عظام من أمثال الشيخ الطوسي والعلامة الحلي. يقول الأستاذ همائي:

«سماحة العلامة الباحث الجهبذ آية الله العظمى الحاج الشيخ آغا بزرك الطهراني مصنّف كتاب الذريعة إلى تصانيف الشيعة أعظم باحث في حقل التاريخ والأدب في القرن المعاصر، والنبع الفياض للعلوم والآداب. صنّف العديد من الكتب، طُبع بعضها وخاصة كتاب الذريعة الذي يعدّ فريدًا من نوعه. اسمه الأصلي «آغا محسن»[٢] ونظرًا لتشابه اسمه مع اسم جدّه، أطلق عليه «آغا بزرك»، وذلك طبقًا لتقاليد العوائل الإيرانية، فنُسي اسمه الأصلي شيئًا فشيئًا، ليبقى له هذا الاسم الجديد، حتى أنّه تسجّل بهذا الاسم في بطاقة الهوية الشخصية الإيرانية واشتُهر به. والده الحاج علي بن محسن من أهالي طهران من سكنة تقاطع دانكي في محلة بامنار والمتوفى في سنة ١٣٢٤هـ. تولّد الحاج الشيخ آغا بزرك في نفس محلة أبيه في الحادي عشر من ربيع

---

١. أنظر: شيخ الباحثين آقابزرگ طهرانى للشهيد محمد علي عبد الرحيم، حياة الشيخ الطهرانى للسيد محمد حسين الحسيني الجلالى، آقا بزرگ تهرانى لمحمد رضا حكيمى و يادنامهٔ شيخ آقابزرگ من سلسلة منشورات جمعية المفاخر الثقافية بطهران.

٢. يقال له محمد محسن أيضًا ولقبه في هوية البطاقة الشخصية "منزوي".

الأول ١٢٩٣هـ الموافق ١٨٧٥ م. هاجر شيخنا من إيران إلى العراق واستوطن النجف الأشرف، وتوفي فيها في يوم الجمعة الثالث عشر من ذي الحجة ١٣٨٩هـ الموافق للأول من شهر اسفند ١٣٤٨ من السنة الفارسية، وللعشرين من شهر فبراير/ شباط ١٩٧٠ م.

زار كاتب السطور قبل سنوات مديدة الحاج الشيخ آغا بزرك في مدينة أصفهان عندما جاء إلى إيران في زيارة خاصة. كان رجلًا بارًا يفيض بالإيمان والتقوى. في ظنّي أنّ عظمة هذا العالم النحرير وأهميته في إحياء التراث الإسلامي، والشيعي الإمامي الإثني عشري على وجه الخصوص، لا تقلّ عن عظمة الشيخ الطوسي والعلامة الحلي. كان فريد عصره في التبحّر والتضلّع في علم الرجال ومعرفة الكتب، اقترن نشاطه بالتقصّي والأمانة والوثاقة، وبذّ أقرانه من الباحثين في هذه العلوم حتى صار أستاذهم وإمامهم.»[1]

٢. الملا عبد الله البهابادي

بحاثة جهبذ، وعالم مبرّز، ومؤلّف قدير، وحكيم منطيق، وفقيه متكلم، ومفسّر أديب، أحد أبرز علماء الشيعة في القرن العاشر الهجري، امتاز بسلامة نفسه ونقاء سريرته.

لم نتحقّق من التاريخ سنة ولادته بصورة دقيقة، وربما تولّد في العقد الأول من القرن العاشر أو في الربع الأول منه على أقصى تقدير. تحصّل العلوم في مدن كشيراز، ونال منزلة رفيعة في العلم والتقوى.

من أبرز أساتذته جمال الدين محمود الشيرازي، وهذا بدوره أحد التلاميذ المبرّزين للملا جلال الدواني الكازروني. ربّى شيخنا الملا عبد الله الكثير من التلاميذ في شيراز وأصفهان والنجف، من أشهرهم الشيخ بهاء الدين محمد العاملى اللبناني المعروف بالشيخ البهائي، والعالم الورع المرحوم الشيخ حسن العاملي نجل الشهيد الثاني، والعلامة السيد محمد العاملي صاحب كتاب المدارك. لعلّ من التوفيقات البارزة للملا عبد الله تولّيه سدانة العتبة العلوية المطهرة ومسؤولية خزانتها ومكتبتها في النجف الأشرف.

---

[1]. همائي، جلال الدين، ديوان سنا، ج ١، إعداد: ماهدخت بانو همائي، صص ١٨٩ و ١٩٠.

في سنة ٩٨١هـ أغمض عينيه عن هذه الدنيا، لم تزل أسرته محطّ اهتمام وتقدير حتى يومنا هذا حيث ظهر فيها العديد من العلماء الكبار في حقول الأدب والعلم والثقافة والسياسة.[١]

الذريعة

كتاب الذريعة رمز شامخ من رموز الثقافة الشيعية. في توريخه آداب اللغة العربية كتب المؤرّخ المسيحي جرجي زيدان، مكابرةً أو جهلًا، أنّ الشيعة فئة مغمورة ليس لها تراث يُذكر، ومن باب ربّ ضارّة نافعة، شمّر بعض عظام العلماء الشيعة عن ساعد الجدّ مثل الشيخ آغا بزرك الطهراني، والسيد حسن الصدر والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء وصنّفوا عددًا من الكتب لتفنيد هذا الزعم. وهكذا، فقد صنّف الشيخ آغا بزرك كتاب الذريعة والسيد الصدر تأسيس الشيعة والشيخ كاشف الغطاء ردود زيدانية.

الذريعة، عبارة عن موسوعة نفيسة اعترف بعظمتها حتى غير المسلمين. فقد قال عنها العالم والباحث الألماني البروفسور فيرناندە: «إنّني أقلّ من أكتب شيئًا عن آغا بزرك الطهراني. ولا أقول سوى أنّه ما من بحث على مرّ التاريخ والثقافة الشرقية اكتمل إلّا بالرجوع إلى الذريعة.»

ووصف المفكر والأديب اللبناني المسيحي الشهير الدكتور يوسف أسعد داغر المرحوم آغا بزرك الطهراني بـ«عبقرية التاريخ و شيخ الباحثين»، وفي تقريظ له على المجلد الحادي عشر من موسوعة الغدير للعلامة الأميني كتب قائلًا: «لعمري! لو لم يكن للشيعة في القرن الرابع عشر سوى العلامة الأميني وغديره والمرحوم السيد محسن الأمين وأعيانه والعلامة الطهراني وذريعته، لكفى بهم فخرًا وعزًّا وهدايةً لأرباب العقول.»[٢]

الملا عبد الله في *الذريعة*

---

١. وردت ترجمته، وإن مختصرة، في العشرات من المصادر الرجالية والتراجم الشهيرة، وأكثر المصادر بسطًا وتفصيلًا في سيرة هذا العالم والمتاحة في الوقت الحاضر كتاب «آخوند ملاعبدالله بهابادى صاحب حاشيه» بقلم السيد أحمد ترحّمي بهابادي الذي صدر في ١٩٩٥م.

٢. حول الذريعة أنظر: الحسيني الجلالي، السيد محمد حسين، زندگی و آثار شيخ آقابزرگ تهرانی، ترجمة: السيد محمد علی أحمدی أبهری، صص ٩٧ إلى ١٣٧.

أشرنا فيما سبق، أنّ فهرسًا بتصانيف الملا عبد الله اليزدي قد ورد بالتفصيل في كتاب الذريعة لذا، سنعمد هنا إلى رسم لوحة بانورامية عن ترجمته في الذريعه ثم نذكّر بالتصحيف الحاصل حول نسبة المرحوم البهابادي إلى مدينة شاه آباد، لنستعرض بعدها عبر عدّة مباحث تصانيفه في الذريعة.

نظرة بانورامية

يقع الذريعة في ٢٦ مجلدًا، وحيث أنّ المجلد التاسع منه يتألف من أربعة أجزاء، يصبح مجموع مجلدات الموسوعة ٢٩ مجلدًا. دوّنت الموسوعة باللغة العربية وهي تستعرض تصانيف مشاهير المؤلفين الشيعة وفق الترتيب الألفبائي، وعلى العكس من طبقات أعلام الشيعة للشيخ آغا بزرك الذي يترجم للولاة والعمال الشيعة في القرون من الرابع إلى الرابع عشر، فإنّ الذريعة يستعرض تصانيف المؤلفين الشيعة في القرون السابقة لعصر الغيبة الصغرى أيضًا. المجلد ٢٦ من الذريعة استدراك عليه، ونظرًا لتطور وتيرة التعرّف على الكتب المخطوطات والمطبوعة، فقد دوّنت استدراكات وتتمات كثيرة على الذريعة.

عبر ستّة عشر مجلدًا يتطرّق الشيخ آغا بزرك الطهراني إلى تصانيف المرحوم اليزدي أو طرح بعض الملاحظات ذات الصلة به. تقدّم التلميحات والتصريحات للمرحوم الشيخ حول الملا عبد الله صورة عامة وكلية ومفصلة عن تصانيفه والشروح والحواشي المدوّنة عليها، وتضع أمام القراء ملاحظات جديدة سوف نتطرّق إليها بالتفصيل لاحقًا. طبعًا لا بدّ هنا من ذكر مسألة لا تخلو من فائدة وهي أنّه نظرًا لوجود طبعات متعددة لـ الذريعة، فإنّنا علاوة على ذكرنا رقم المجلد والصفحة في الطبعة المحال عليها، سنذكر أيضًا رقم المصدر إن وجد، لكيلا يجد أصحاب الطبعات الأخرى للذريعة صعوبة في مراجعة النص الأصلي إن اقتضت الحاجة.

تصحيح تصحيف

بهاباد مدينة لها تاريخ عريق وسابقة طويلة تقع في منطقة الصحراء المركزية في إيران، وكانت مهدًا لظهور

رجال عظام ومفاخر الأمة في مقدمتهم العلامة جليل القدر المرحوم الملا عبد الله البهابادي اليزدي ذائع الصيت. اشتهر صاحبنا على الأغلب باسم الملا عبد الله أو الملا عبد الله اليزدي، وكان عادةً يوقّع بخط يده في نهاية كتبه ورسائله باسم عبد الله اليزدي، عدا حالة واحدة وقّع باسم عبد الله البهابادي.[1]

بيد أنّ تصحيفًا حصل حول انتسابه في بعض الكتب العلمية حيث كُتب الشهابادي أو الشاه آبادي بدل البهابادي. وقد وقع في نفس هذا الخطأ كل من المرحوم أفندي في رياض العلماء والمرحوم الخونساري صاحب روضات الجنات ، وبعد هذين الرجلين، برزت هذه المسألة في بعض التصانيف مثل ريحانة الادب لخالد الذكر الميرزا محمد علي المدرس التبريزي،[2] وفي مواضع عدّة من الذريعة للشيخ آغا بزرك جرى تصحيف اسم الملا عبد الله وذُكر بلقب شهابادي، وانتقلت عدوى هذا التصحيف إلى الكتّاب القيّم فهرس أعلام الذريعة أيضًا الذي هو بحكم مفتاح الذريعة[3]، وتأسيسًا على هذا التصوّر المغلوط قيل بأنّ منطقة «شاه آباد» من توابع يزد![4]

صحيح أنّ مدنًا كثيرة في إيران تحمل اسم شاه آباد، حتى أنّ بعض كبار العلماء مثل الفقيه المجاهد العلامة الشيخ محمد علي شاه آبادي (أستاذ الإمام الخميني في العرفان) عُرف وما يزال بالشاه آبادي لأنّه سكن في شارع شاه آباد بطهران، إلّا أنّ الأمر المسلّم به والواضح أنّ الملا عبد الله اليزدي أصله من ناحية بهاباد في يزد، ولا علاقة له بشاه آباد، ويُرجّح أن يكون استحسان أحد النسّاخ هو السبب في تغيّر الكلمة من بهاباد إلى شهاباد ثم إلى شاه آباد، فظنّ البعض أنّ الملا عبد الله شهابادي هو نفسه صاحب الحاشية على التهذيب.

حاشية الملا عبد الله، وشروح الحاشية

---

[1]. ترحمی بهابادی، احمد؛ آخوند ملاعبدالله بهابادی صاحب حاشیه؛ ص ۴۶.

[2]. مدرس، میرزا محمد علی؛ ریحانة الادب؛ ج ۱، ص ۲۲۱.

[3]. منزوی وآخرون، علی نقی؛ فهرس اعلام الذریعه، ج ۲، ص ۱۳۹۸. کذلك أنظر: قاینی، الشیخ علی فاضل؛ معجم مؤلفین الشیعه.

[4]. المهاجر، الشیخ جعفر؛ اعلام الشیعه؛ ج ۲، ص ۸۵۵.

على مدى القرون السابقة وصولًا إلى زمان الملا عبد الله اليزدي دوّنت شروح وحواش وتعليقات كثيرة على حاشيته، ونحن هنا سوف نطلق عليها تجوّزًا اسم «الشرح»، حتى أنّنا سنذكر بعض ترجمات الحاشية أيضًا ضمن الإيضاحات التي قدّمها الشيخ آغا بزرك. اللغة العربية هي السائدة على شروح الحاشية ما خلا بعض الاستثناءات باللغة الفارسية. بعضها مفصّل ومبسوط وبعضها مقتضب وموجز، منها المطبوع وكثير غيرها مخطوط. الشروح أحيانًا بصيغة الشرح المزجي، وفي أحيان أخرى غير مزجي. في السطور القادمة سوف نستعرض الملاحظات التي ذكرها الشيخ آغا بزرك في مختلف مجلدات الذريعة عن شروح الحاشية:

سعادة المتأنّق فى توضيح حاشية المنطق مصنّف علمي بقلم السيد محمد حسن بن عبد الرسول الطالقاني النجفي ولد في سنة ١٣٥٠هـ فرغ من تدوين هذا الكتاب في ليلة الاثنين ٢٧ ربيع الثاني ١٣٧٠هـ وكان في العشرين من عمره. يقول صاحب الذريعة عن الكتاب أنّه يجمع بين الحاشية والشرح المزجي على حاشية الملا عبد الله اليزدي. كما يشير الشيخ آغا بزرك إلى وجود مخطوطة لهذا الكتاب بخط المحشّي في النجف الأشرف.[1] جدير بالذكر أنّ صاحب هذه الحاشية هو غير العلامة المجاهد الشيخ محمد حسن العبادي الطالقاني (١٢٨٧ - ١٣٦٩هـ) أحد العلماء المناضلين في طهران.[2]

قسطاس عبارة عن تعليقة على حاشية الملا عبد الله اليزدي، بقلم الملا محمد حسين اردستاني يزدي (م ١٢٧٢هـ) كان معاصرًا ومعارضًا للمرحوم السيد علي نقي الطباطبائي صاحب رياض وقد جرت قصص بين الاثنين حول وثيقة الهند.[3] المعلّق هو صاحب الفلك المشحون فى أصول الفقه المعروف بالكعب الذهبي لتمييزه عن عالم آخر معاصر له بنفس الاسم. العنوان الكامل لكتاب هذا المحشّي هو القسطاس المستقيم والمكيال القويم في علم الميزان وقد رأيت مخطوطة له بين كتب الميرزا علي الشهرستاني بكربلاء. استهلال هذا الكتاب هو: «أعلى

---

١. طهرانى، آغا بزرك، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج ١٢، ص ١٨١، العدد ١١٩٩.
٢. آشنايى با مشاهير طالقان، ص ٢٦٠. تربت پاكان قم، ج ٣، ص ٢٠٨.
٣. أنظر: فراتر از روش آزمون و خطا از على ابوالحسنى (منذر).

تهذيب منطق المتكلمين وأزكى ذكر أجناس العارفين.»[1]

حاشية الطلع المنضود على حاشية الملا عبد الله اليزدي للملا محمد حسين با اسماعيل، يذكر الشيخ آغا بزرك طهراني وجود مخطوطة للكتاب في مكتبة آية الله البروجردي بالنجف الأشرف. وعن شخصية المؤلف يقول أنّه مجهول، وربما يكون هو نفسه محمد حسين اردستاني يزدي المعروف بالكعب الذهبي صاحب القسطاس المتوفى بكربلاء في سنة ١٢٧٣هـ[2]وأوردنا ترجمته في كرام البررة.[3]

رفع الغاشية عن وجه الحاشية من الشروح التي دوّنها السيد شهاب الدين بن محمد الحسيني التبريزي في سنة ١٣٣٩هـ وكان عمره آنذاك ٢١ سنة. دوّن الكتاب بصيغة الشرح المزجي ويحتمل أن يكون باللغة العربية.[4] السؤال المطروح: هل المؤلف هو نفسه آية الله المرعشي النجفي المعروف أم شخص آخر؟ اسم والد المرحوم السيد المرعشي النجفي محمود ولكن ربما حدث خطأ مطبعي أو خطأ في التنضيد فتغيّر الاسم من محمود إلى محمد، لا سيّما وأنّ سنة ولادة المرحوم المرعشي هي ١٣١٨هـ وكان له تواصل مع المرحوم الشيخ الطهراني الذي كتب يقول: «كتبه إلينا، و لم يذكر أنّه عربيٌ أو فارسيٌ»؟ ناهيك عن أنّ أبناء وأحفاد وأعقاب المرحوم صاحب الذريعة الذين بذلوا جهدًا مشكورًا في إعداد فهرس أعلام الذريعة قد ذهبوا إلى أنّ شهاب الدين المذكور أعلاه هو نفسه المرحوم آية الله المرعشي النجفي،[5] وطبعًا يمكن بالرجوع إلى مصادر سيرة المرحوم المرعشي التأكد من أنّه صاحب الكتاب.[6]

الزوائد الجزيلة بقلم السيد أبو القاسم بن رضا الطباطبائي التبريزي المعروف بالعلامة التبريزي الذي ذكر في فهرس تصانيفه الحاشية على حاشية الملا عبد الله اليزدي. والمرحوم التبريزي من علماء القرن الرابع عشر،

---

١. طهرانى، آقابزرگ؛ الذريعه الى تصانيف الشيعه؛ ج ١٧؛ صص ٧٨ و٧٩، العدد ٤١٥.
٢. المصدر نفسه؛ ج ١٥؛ ص ١٧٧، العدد ١١٨٣.
٣. أنظر: كرام البرره؛ ج ١، صص ٢٧٨ و ٢٧٩.
٤. طهرانى، آقابزرگ؛ الذريعة إلى تصانيف الشيعة؛ ج ١١، ص ٢٤٣.
٥. أنظر: فهرس اعلام الذريعه، ج ٢، ص ١٠٩٩.
٦. مثلًا أنظر: المسلسلات؛ ج ١، ص ٢٧.

توفي في سنة ١٣٦١هـ.[١]

كشف الأسرار هو أيضًا حاشية على حاشية التهذيب للملا عبد الله اليزدي ذكر ذلك الشيخ آغا بزرك طهراني ولكن نعتقد، بحسب رأينا القاصر، أنّ عبارة الشيخ غير واضحة حيث يقول: «كشف‌الأستار، حاشية على حاشية المولى عبد الله اليزدي، المتوفى ٩٨١هـ طبع كثيرًا، منه في هامش نسخة الحاشية المطبوعة في ١٣٢٣هـ».[٢] لقد طُبعت حاشية الملا عبد الله اليزدي (م ٩٨١هـ) مرات عديدة، وعلى هامش النسخة المطبوعة لحاشية الملا عبد الله في سنة ١٣٢٣هـ طُبع أيضًا كشف الأستار. ولا نعلم بالضبط ماذا يقصد من كلمة «منه» في عبارته أعلاه. هل يقصد أنّ قسمًا منه طُبع على هامش النسخة المطبوعة للحاشية، أم يقصد شيئًا آخر؟ الله وحده يعلم.

حاشيه بر تهذيب المنطق تفتازانی يقول عنه الشيخ آغا بزرك أنّه لا يعرف سوى أنّ المحشي دوّن حاشيته بعد الرجوع إلى حاشية الملا عبد الله اليزدي. هناك مخطوطة لهذه الحاشية محفوظة في مكتبة ملك بطهران كُتبت بخط النستعليق باللغة الفارسية في القرن الحادي عشر الهجري وفي ١٣٦ ورقة، وتستهل الحاشية بعبارة: «اعلم أنّ الحمد في اللغة هو الثناء باللسان على قصد التعظيم».[٣] ونظرًا لمقالة الشيخ بأنّ المحشّي في تدوين إيضاحاته على عبارات التفتازاني قد اطلع أيضًا على آراء الملا عبد الله في حاشيته بحيث يمكن أن نخرج باستنتاج مفاده أنّه تأثّر بحاشية الملا عبد الله، حتى وإن كانت له رؤية نقدية على هذا الأخير، وأنّه ذكر حاشيته تجوّزًا في حواشي الحاشية.

شرح حاشيهٔ ملا عبد الله بقلم الميرزا حيدر علي مباركئي لنجاني أصفهاني المعروف بنديم الملك، فرغ من تدوين شرحه في ذي الحجة سنة ١٣٠٠هـ، حين كان يقرأ حاشية الملا عبد الله على الميرزا حسن الهمداني، والمخطوطة

---

١. طهرانی، آقابزرگ، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج ١٢ ص ٥٩. العدد ٤٤٥.

٢. المصدر نفسه، ج ١٨، ص ١٠. العدد ٤٢٣.

٣. المصدر نفسه، ج ٢١، ص ٦١.

الأصلية التي كُتبت بخط المؤلف محفوظة عند السيد محمد علي روضاتي بأصفهان.[1]

شير و شكر أو شرح على حاشية الملا عبد الله اليزدي تأليف الميرزا حسين اللاهيجي، يستهلّه بالعبارة التالية: «قوله: ابتدأ بخير الكلام، ما هو الغرض من هذا الكلام؟ الجواب هو الإجابة عن السؤالين اللذين طرحهما المحشي في البداية»، توجد مخطوطة لهذا الشرح ناسخها هو أحمد بن حسين بن أحمد تنكابني، وتاريخ نسخها ١٦ ذي الحجة ١٢١٩هـ، في مكتبة كلية الإلهيات (الشريعة) بجامعة طهران (مخطوطات كلية الإلهيات، ج١، صفحة أو العدد ٧١٣، د).[2]

حاشيه بر حاشيهٔ ملا عبد الله والمحشّي هو الميرزا على رضا تجلي شيرازي. يبدأ حاشيته بالقول: «حمدٌ له، إنّه قيد مفيد جرى على لسان الداعي علي رضا أثناء المدارسة مع إبراهيم خان». وجاء في بعض النسخ على النحو التالي: «اعلم أنّ في التسمية يستدعي...»[لا بدّ من التدقيق أيّ النسختين أصحّ؟ وما إذا كانت الحاشية قد دوّنت باللغة العربية أم الفارسية؟]، طبعت هذه الحاشية بطهران في سنة ١٢٨٢هـ، وهناك نسخة لها مطلية بماء الذهب محفوظة في مجلس الشيوخ (مخطوات مجلس الشيوخ، ج ٢، العدد ٣٢٧) كُتبت بخط النسخ بتاريخ ١٠٢٨هـ ضمن مجموعة من المخطوطات. [يتّفق الكثير على أنّ وفاة المحشّي تجلّي شيرازي الذي كان معاصرًا لصدر الدين الشيرازي كانت في سنة ١٠٥٨هـ]. هناك مخطوطة أخرى لهذا الكتاب لتجلّي شيرازي محفوظة في يزد، كُتبت في القرن الحادي عشر الهجري بخط النسخ، وكذلك مخطوطة ضمن مجموعة يعود تاريخها إلى سنة ١٢٤٢هـ محفوظة في مكتبة سپهسالار بطهران (ج ٢، العدد ٧٠٤٠).[3]

ترجمة حاشية الملا عبد الله اليزدي باللغة الفارسية، المترجم مجهول ولا معلومات لدينا عن اسمه. استهلال الترجمة على النحو التالي: «الحمد، في اللغة هو وصف اختياري بالجميل لغرض التعظيم». توجد مخطوطة لهذه

---

[1]. المصدر نفسه، ج ٢٣، ص ٦٩.

[2]. المصدر نفسه، ج ٢٣، ص ٧٢.

[3]. المصدر نفسه، ج ٢٣، صص ٦١ و ٦٢.

الترجمة في مدرسة سپهسالار بطهران [مدرسة الشهيد مطهري حاليًا]. (فهرس المخطوطات في مدرسة سپهسالار، ج ٣، العدد ٨٠٨٢٩. ناسخ هذه الترجمة هو محمد بن شاه حسين نصرآبادي، كُتبت الترجمة بخط النسخ بتاريخ شهر شعبان سنة ١٠٣٤هـ،[١] ومخطوطة أخرى بلا تاريخ في طهران محفوظة عند الدكتور علي أصغر مهدوي كُتبت بخط النستعليق يعود تاريخها إلى القرن الثالث عشر، وكما يظهر من استهلال هذه الترجمة أنّها إحدى الشروح على تهذيب المنطق.[٢]

المصنّفات البلاغية

اشتهر الملا عبد الله اليزدي بكونه فقيهًا وفيلسوفًا، إلّا أنّه كان ملمًّا أيضًا بعلوم الأدب والبلاغة. ومصنّفاته البلاغية التي في أيدينا تؤكّد على اهتمامه بتدريس علوم البلاغة وتدوين الحواشي والتعليقات في هذا العلم – بما في ذلك علم المعاني والبيان والبديع –.

المختصر أو شرح تلخيص المفتاح للتفتازاني أحد الكتب المشهورة في الأدب العربي. من بين الحواشي والشروح العديدة التي دوّنت على المختصر حاشية الملا عبد الله اليزدي حيث ذكره صاحب كشف‌الظنون (الچلبي، ج ١، ص ٣٢٥) ويقول الشيخ آغا بزرك: لقد ذكرنا هذه الحاشية المختصرة كحاشية على الحاشية الخطابية للشرح المختصر، لأنّ هذه الحاشية المختصرة هي في الحقيقة حاشية على الشرح وعلى حاشيته على الخطابية.[٣] جاء هذا التوضيح للشيخ بعدما اعتقد البعض أنّ الحاشية على مختصر المعاني والحاشية على الخطابية شيء واحد، ومن هؤلاء الأمين الرازي الذي كان بنحوٍ ما من معاصري الشيخ عبد الله اليزدي، وكان يعتقد بهذا

---

١. في هذا التاريخ وعلى احتمال أقرب إلى اليقين كان قد تبقى أفراد من نسل تلامذة الملا عبد الله، مثلًا الشيخ البهائي في هذا التاريخ لم يمض على موته ٣ سنوات. ناهيك عن أنّ مثل هذه التصانيف تدلّ على الاهتمام بحاشية الملا عبد الله منذ أيامه، أو العصر القريب من بعده.

٢. طهراني، آقابزرگ، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج ٢٣، ص ٦٠.

٣. المصدر نفسه، ج ٦، صص ١٩٢ و ١٩٣.

الشيء[1] وكذلك الملا عبد الله أفندي الذي اعتقد بوحدة الكتابين.[2]

المطوّل أي الشرح المطوّل للتفتازاني على تلخيص مفتاح السكاكي ذو حواش وشروح كثيرة، من هذه الحواشي حاشية الملا عبد الله اليزدي باللغة العربية، وتستهلّ بهذه العبارة: «حمدًا لمن خلق الإنسان علّمه البيان...»، فرغ من تأليفها في ذي الحجة سنة ٩٦٢هـ.[3]

المصنّفات الكلامية والمنطقية والفقهية

صنّف بعضهم الملا عبد الله اليزدي كفقيه، ومنهم من أنكر هذه المسألة مثل الملا عبد الله أفندي الذي اعتاد على إظهار المشتغلين بالمعقول والفلاسفة والعرفاء بأنّهم خواء من العلوم الشرعية. هذا في حين ذكرت التقارير التاريخية أنّ هناك مصنّف فقهي مؤكّد وآخر محتمل للملا عبد الله اليزدي بالإضافة إلى ادّعائه الذي يدعو إلى التأمّل وهو مطابقته أصول العلوم المعقولة على المنقولة. كيف كان، نتابع بحثنا بتسليط الضوء على مصنَّفين اثنين للملا عبد الله طبقًا لما ذكره الشيخ آغا بزرك:

قواعد الأحكام في مسائل الحلال والحرام ويسمى أيضًا قواعد الأحكام وقواعد الفقه، مصنّف نفيس وعلى قدر عظيم من الفائدة للعلامة الشيعي النحرير المرحوم آية الله العلامة الحلي. عدّه الشيخ آغا بزرك الطهراني أعظم كتاب فقهي شيعي بعد الشرايع للمحقق الحلي (خال العلامة الحلي): «هو أجلّ ما كُتب في الفقه الجعفري بعد كتاب الشرايع، فهو حاوٍ لجميع أبواب الفقه، و قد أحصيتُ مسائله في ستماية و ستين ألف مسألة، و قيل أنّه أحصيت مسائله فى ماية ألف مسألة واحدى و أربعين و الله العالم». استأثر الكتاب باهتمام جميع الفقهاء الشيعة وعنايتهم فكتبوا عليه الكثير من الحواشي والشروح. من الشروح المعروفة عليه، شرح الملا

---

[1]. احمد رازى، امين؛ تذكرهٔ هفت اقليم؛ ج ١، ص ١٥١.

[2]. افندى، عبد الله؛ رياض العلماء؛ ج ٣، ص ١٩۴. يذكر تاريخ فراغه من التأليف بدقة وهو ١٧ ذي الحجة ٩٦٢هـ، ومحل التأليف أيضًا وهو مدرسة صدر بشيراز، لكنّنا سنلاحظ أنّ الشيخ آغا بزرك ينسب حاشية المطول إلى هذا التاريخ، ولا نعرف أي الأقوال أصح.

[3]. طهرانى، آغا بزرك؛ الذريعة إلى تصانيف الشيعة؛ ج ۶، ص ٢٠٣.

عبد الله بن حسين الشوشتري (م ١٠٢١هـ) دوّنه في كربلاء، ولكن لم يُوفّق في إتمامه. يقول الملا عبد الله أفندي طبقًا لما نقله المرحوم الطهراني، أنّ الشوشتري ساق في شرحه على قواعد العلامة أدلة حديثية وهو ما جعله، بحسب اعتقاده، من أفضل الشروح التي كتبت على القواعد وأكثرها فائدة،[١] لكنّه، في ظنّي، قد بالغ في تقريضه للكتاب، نعم كان المرحوم الشوشتري عالمًا زاهدًا ومحدثًا كبيرًا، لكنّه في علم الفقه لا يعدو أن يكون من فقهاء الصف الثاني، فما بالك أن يكون شرحه الفقهي على كتاب القواعد النفيس أفضل الشروح. وتكفينا نظرة سريعة في سائر الشرّاح الجهابذة على القواعد وجولة في آرائهم ليتأكّد لنا خطل رأي المرحوم أفندي.[٢] غير أنّ هذه النظرة المغالية لأفندي إزاء شرح قواعد الشوشتري مردّها ميوله الأخبارية، وهو ما لم يكن المرحوم أفندي عنها ببعيد.

جدير بالذكر أنّ مخطوطة ناقصة من شرح قواعد الشوشتري محفوظة في مكتبة آل مشكور بالنجف الأشرف. وسوى المعيار العلمي لشرح الشوشتري على القواعد، فقد نُسبت إلى الملا عبد الله اليزدي أيضًا شروح قواعد العلامة، واعتبر البعض هذه النسبة هي نتيجة أنّ المدني الشيرازي في سلافة العصر خلط بينه وبين الشوشتري. والحال أنّ بعض الخصائص في سيرة الملا عبد الله المذكورة في السلافة تشير إلى الخلط بين الشخصيتين، وأنّه ليست جميع الخصائص المذكورة في سيرة الشوشتري تعود إليه، كما أنّ القول بتصحيف لفظ الشوشتري بلفظ اليزدي لا يحلّ المشكلة. يقول الشيخ آغا بزرك في المجلد الرابع عشر من الذريعة: يقينًا أن الذي قصده ابن معصوم المدني الشيرازي في السلافة هو الملا عبد الله الشوشتري؛ لأنّه ذكر مباشرة ترجمة لولده الملا حسن علي، كما أنّ المرحوم اليزدي عاش في القرن العاشر وليس القرن الحادي عشر حيث أورد

---

١. يكتب الشيخ آغا بزرك عن أفندي: «انه أحسن شروح القواعد».

٢. أما في رياض العلماء الذي في متناولنا فإنّ العبارة بشكل آخر: اما شرحه على القواعد فمن احسن الشروح. افندى، عبد الله؛ رياض العلماء، ج ٣، ص ١٩٧. هذه العبارة على الأقل أكثر توازنًا. جدير بالذكر أنّ لرياض العلماء نسخ مختلفة وكذلك رجال الشيخ وأمل الآمل للصدر. أحيانًا تنسب أقوال متفاوتة لمصنَّف واحد.

المدني تراجم بعض علماء هذا القرن،[1] ولكن كما ذكرنا سابقًا، ليس هناك منافاة أن يكون كل من الرجلين قد كتب شرحًا مستقلًا ومنفصلًا على قواعد العلامة الحلي، خصوصًا إذا عرفنا أنّ واحد من أشهر الشروح على القواعد عنوانه جامع المقاصد للمحقق الثاني، الذي سوف نفصّل الحديث عنه، لا سيّما وأنّه كان أستاذ الملا عبد الله اليزدي، والشيء الأكيد أيضًا هو أنّ ثمّة خلط حصل بين الشوشتري واليزدي في السلافة وبالتبع في أمل الآمل، والمسألة ليست مجرّد تصحيف.

شرح على الألفية؛ الألفية من أشهر المصنّفات الفقهية للشهيد الأول يشرح فيه ألف واجب للصلاة في مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة. ثم صنّف الشهيد الأول لاحقًا النفلية في مستحبات الصلاة، طُبع كلا المصنّفين مرات عديدة، ودوّنت حواش وتعليقات وشروح كثيرة على الألفية ذكر معظمها صاحب الذريعة. من هذه الشروح، شرح المحقق الكركي وشروح لتلميذي الملا عبد الله اليزدي وهما الشيخ حسن العاملي وصاحب المدارك، وشرح الملا عبد الله الشوشتري، وشرح الملا عبد الله اليزدي، وغيرها.

عنوان شرح المرحوم اليزدي الدرة السنية. وهو شرح مزجي يمتزج فيه المتن بالشرح، تمّ التمييز بينهما بكتابة المتن بالحبر الأحمر والشرح بالحبر الأسود. تعود المخطوطة المتوفرة لهذا الشرح إلى عصر الشارح، وكُتب عليها: قُرئ هذا المصنّف (على الشارح على الأظهر) وتوجد على الشرح حواش للمؤلف مع عبارة «مدّ ظله» و «دام ظله». هذه المخطوطة محفوظة في مكتبة آل مشكور بالنجف الأشرف، إلّا أنّ صفحتها الأولى قد سقطت. في نهاية الكتاب كتب المرحوم اليزدي خاتمة حول فضل يوم الجمعة وبعض آداب الجمعة، وهناك صفحة واحدة ناقصة في الكتاب. يبدو من بداية المخطوطة أنّ المرحوم اليزدي كتب أقدم مصنّف باسم السيد عبد المطلب بن حيدر بن فلاح بن محسن بن محمد بن فلاح المشعشعي، المتوفى في سنة ١٠١٩هـ بحسب كتاب مناهل الضرب. ونص العبارة هو: «فلما افتخر بالعلوم وأفضل حسب وفاق بهذا العالي من النسب لقب

[1]. طهرانی، آغا بزرك، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج ١٤، صص ١٨ إلى ٢١ ؛ و ج ٥، ص ٦٥.

بالسيد عبد المطلب لأنّه محقق طلب كل طالب و مروج أمل كل آمل». في سنة ٩٩٨هـ يكتب الملا عبد الله اليزدي الكتّاب باسم والي مبارك، ابن عبد المطلب ويحيل في كتابه على بعض آثاره. مثلاً في شرحه لعبارة البسملة (بسم الله الرحمن الرحيم) يقول: «و نقلنا ما فيه كفاية فى مؤلفاتنا خصوصا فى رسالتنا المسماة بالتجارة الرابحة؛ وفي بيانه لمقدمة العلم والكتّاب يقول: «وقد أشبعنا الكلام فى هذا المقام فى الشرح الثانى لتهذيب المنطق»؛ ويعني شرحه الفارسي على تهذيب المنطق (ونسخة منه محفوظة في أصفهان عند روضاتي ونسخة أخرى في تبريز عند قاضي طباطبائي).

وكذلك في تعريفه للطهارة، يذكر كلام أستاذه المحقق الكركي واعتراضه على قيد الاستباحة للصلاة ويقول: «نعم قد ذكر شيخنا رحمه الله في حاشية الشرايع... إنّ المتبادر من تأثير الاستباحة للصلاة كونه فعليا فيخرج الوضوء المجدد لعدم التأثير الفعلى له لحصول الاستباحة قبله و تحصيل الحاصل ممتنع»؛ ثم يجيب على الاعتراض من خلال قاعدة منع التبادر، حتى يقول: «فعلمت أن توجيه شيخنا رحمه الله تعالى حلٌ للعبارة بما لا يرضى به صاحبها». وفي مبحث هل أنّ إذن الإمام المعصوم شرط في قراءة صلاة الجمعة؟ يقول المرحوم اليزدي: «قد أفتى شيخنا رحمه الله في شرحه للقواعد بجوازها مع وجود الفقيه».

يقول الشيخ آغا بزرك: في العديد من المواضع في شرحه يعبّر عن المحدّث الكركي بعبارة «شيخنا رحمه الله»، وكان الغرض من الإتيان بهذه الإيضاحات المفصلة التمييز بين شرح الألفية للملا عبد الله اليزدي وشرح الألفية للملا عبد الله الشوشتري (وهذا الشرح موجود في النجف الأشرف أيضًا)، وأنّهما شيئان اثنان.[1]

نعم يحدث أحيانًا أن يعبّر الفقهاء عن المشايخ والأساتذة السابقين بـ «شيخنا»، ولكن عندما لا تكون هناك قرينة صارفة في البين مثلًا فاصلة زمنية طويلة، فإنّ ظاهر لفظ أستاذنا وشيخنا يشي بأنّ المؤلف قد

---

[1]. طهرانى، آغا بزرك، الذريعة إلى تصانيف الشيعة ، ج ٢، صص ٢٩٦ و ٢٩٧؛ ج ٨، صص ٩٨ و ٩٩ و ج ١٣، ص ١١٢.

قضى فترة تلمذة عند ذلك الشخص. لأجل هذا يجب اعتبار المحقق الثاني من أساتذة الملا عبد الله اليزدي والذي على الأرجح أنّه درس عليه في أصفهان. المثير في الأمر أنّ صدر الدين الدشتكى الذي كانت له اختلافات مع المحقق الثاني كان يناديه بالأستاذ المرحوم اليزدي. أضف إلى ذلك، في ضوء شرحه على ألفية الشهيد، أو من خلال نظرة سريعة على بعض إشاراته، منها، على سبيل المثال استدلاله بمنع التبادر في ردّ اعتراض المحقق في المسألة آنفة الذكر، أثبت أنّه ليس بغريب على الفقه.

المصنّفات الفلسفية

بعد عصر الخواجة اختلط الكلام بالفلسفة اختلاطًا شديدًا، فأصبحت المصنّفات الكلامية للمتكلمين تزخر بالآراء الفلسفية. وفي هذا السياق كانت للمرحوم اليزدي مصنّفات كلامية عديدة ومتنوعة، حتى أنّ بعضها مثل شرح مبحث الجوهر كان أقرب إلى المباحث الفلسفية، وعدا هذه المصنّفات والآراء، فقد أخبر الشيخ آغا بزرك عن إحدى مصنّفاته الفلسفية. التشكيك عبارة عن مفهوم فلسفي يبحث في مراتب الوجود بدءًا بالهيولى وتخوم العدم، وصولًا إلى الوجود المطلق وهو الذات المقدسة لواجب الوجود المتعالي. طبعًا العرفاء ليسوا في وفاق مع هذا المفهوم، فطرحوا مسألة سلب الوجود الحقيقي من الموجودات، وراحوا يتحدّثون عن أنّ «كل ما فى الكون وهم أو خيال ... الخ»، وأنّ وجود الممكنات والموجودات عبارة عن تجليات وظلال وإشراقات وغير ذلك.

لقد طرح الفلاسفة والحكماء بحوثًا جمّة في مسألة التشكيك في مصنّفاتهم المستقلة وغير المستقلة، وإذا كان لنا أن نذكر الرسائل المستقلة التي صنّفت في التشكيك لا بدّ أن نشير إلى مصنّفات مير أبو القاسم فندرسكي، وآغا حسين الخونساري، والملا حمزة الكيلاني وأخيرًا الملا عبد الله اليزدي. يستهلّ المرحوم اليزدي رسالته في مسألة التشكيك على النحو التالي:

«تحقيق التشكيك اللهم بإلهامك، و إزاحة الشكوك بنبضك و إنعامك...» كُتبت نسخة من هذه الرسالة

بخط يد الناسخ السيد محمد علي الموسوي بتاريخ ١٠١٨هـ، ويوجد عليها خط جلال الدين محمد بن قطب الدين محمد الأصفهاني تفيد بتملّكه لهذه المخطوطة، وهي محفوظة في مكتبة شوشتري بالنجف الأشرف.[١]

المصنّفات التفسيرية

لقد اقتحم العلامة الملا عبد الله اليزدي بيراعه مختلف ميادين العلوم، ومن بين تجلياته المشرقة في هذه العلوم، هو علم التفسير. ونحن نعلم بأنّه قد صنّف، على الأقل، أثرين تفسيريين. وللمزيد من المعلومات حول جهوده في حقل التفسير نحيل القارئ على ما قاله الشيخ آغا بزرك الطهراني في هذا المجال:

التجارة الرابحة هو التفسير الذي صنّفه الملا عبد الله اليزدي، وعنوانه الكامل التجارة الرابحة فى تفسير السورة و الفاتحة ، والواضح أنّ المقصود من السورة هي سورة التوحيد. ويخبرنا في مستهلّ كتابه شرح الألفية عن تصنيفه لهذا التفسير، ممّا يوضّح بأنّ تاريخ تدوينه كان قبل شرح الألفية.[٢]للمسلمين، وللشيعة على وجه الخصوص اهتمام وافر بهاتين السورتين، لذا فالاطلاع على مضامينهما تعدّ حاجة ملحة لكل مسلم، وهو ما يوضّح تدوين العديد من المصنّفات في تفسير هاتين السورتين وبالأخص سورة الفاتحة المباركة. الملاحظة الأخرى هي أنّ هذا التفسير كان، على ما يبدو، مفصّلاً ومسهباً، كما يتّضح ذلك من عبارة المؤلف «بسطت القول» المذكورة في ذيل أحد الموضوعات الفرعية، فلو كان تفسيراً موجزاً لما قالها.

كتاب تفسير الملا عبد الله اليزدي، الذي يقول عنه الشيخ آغا بزرك «تفسير شهابادي»، وهو في الحقيقة حاشية الملا عبد الله اليزدي على تفسير البيضاوي الشيرازي الذي تعرّض لنقد شديد من قبل المفسرين، ولعل حاشية المرحوم اليزدي تندرج ضمن سياق نقدي.

دوّنت شروح وحواش كثيرة على تفسير القاضي البيضاوي المتوفى في تبريز سنة ٦٨٢هـ، من بين هذه

---

١. المصدر نفسه، ج ١١، ص ١٤٨. العدد ٩٢٨.

٢. المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣٤٨ ، العدد ١٢٥٦.

الشروح والحواشي: للملا محمد جعفر الاسترآبادي، والسيد حسن الخلخالي و المولى عبد الحيكم سيالكوتي. كان عبد الحكيم في بداية عهده سنّيًا ثم تشيّع، كان معلم شاه جهان آباد في الهند، ترجم له صاحب رياض العلماء، توفي حسبما ذُكر في سبحة المرجان سنة ١٠٦٧هـ. توجد مخطوطة لـ تفسير سيالكوتي في مكتبة شيخ العراقين بكربلاء، وأخرى محفوظة في مكتبة الشيخ محمد السماوي الكوفي بالنجف الأشرف وهي التي تحتوي على حواشي الملا عبد الله اليزدي على تفسير البيضاوي. طبع تفسير سيالكوتي في سنة ١٢٧٠هـ في الأستانة كحاشية على تفسير البيضاوي.[١]

شوارد

أ) كلام عن إجازة المجلسي الثاني للملا عبد الله

تحدّث صاحب الذريعة عن إجازات كثيرة في رواية الحديث للمرحوم المجلسي الثاني لبعض الأشخاص، منها ما ذكره في المجلد الأول من الذريعة العدد ٧٣٦ والذي يتضمّن إجازة المرحوم المجلسي الثاني للملا عبد الله اليزدي، وورد جزء منها في مجلد إجازات بحار الأنوار. وعن ذلك يقول صاحب كشف الحجب أنّ المجاز هو عبد الله بن حسين اليزدي،[٢] فإذا كان يقصد الملا عبد الله اليزدي فيقينًا أنّه أخطأ الهدف، ذلك أنّ المرحوم المجلسي الثاني وُلد بعد وفاة الملا عبد الله اليزدي بـ ٥٦ سنة، وعليه، فالمجاز هنا هو شخص آخر غير المرحوم البهابادي.

ب) كتاب أدعية أيام الأسبوع

يذكر صاحب الذريعة كتاب عنوانه أدعية أيام الاسبوع لمؤلف مجهول، والكتاب مذهّب ويتضمّن جداول وقد كُتب بخط جميل. مؤلف الكتاب هو الملا عبد الله اليزدي، ومخطوطته محفوظة في مكتبة العتبة الرضوية

---

١. المصدر نفسه، ج ٤، ص ٢٧٨ و ج ٦، صص ٤١ و٤٢.

٢. المصدر نفسه، ج ١، صص ١٥٢ و ١٥٣. العدد ٧٣٦.

المقدسة بمشهد.[1] فإن كان الكتاب يعود إلى ما قبل عصر المرحوم البهابادي، وتاريخه يناهز خمسة قرون فهو، أغلب الظن، للمرحوم البهابادي اليزدي الذي استنسخه لنفسه أثناء زيارته للحرم العلوي وتأليفه كتاب أدعية الأسبوع.

ج) آغا زاده المنجم

تحفة المنجمين كتاب باللغة الفارسية في علم النجوم مؤلفه جلال الدين محمد بن عبد الله اليزدي صنّفه في سنة ١٠٥٦هـ، توجد منه مخطوطة محفوظة في مدينة مشهد. ويحتمل أنّ مصنّف الكتاب هو ابن الملا عبد الله البهابادي اليزدي.[2]

د) إلماعة

ذكر الشيخ آغا بزرك طهراني في الذريعة نقاطًا أخرى تتعلّق بنحوٍ ما بالملا عبد الله البهابادي اليزدي، على سبيل المثال، عن مصنّفات أساتذة وتلاميذ الملا عبد الله، بالإضافة إلى ملاحظات غيرها في مواضع أخرى. منها مثلاً ما ذكره في ذيل تذكرة هفت اقليم للمرحوم أمين أحمد الرازي وهو أحد أقارب الشهيد الملا أميدي الرازي وشابور الطهراني حيث يقول كُتب هذا المصنّف في الهند سنة ١٠١٠هـ[3]، ويشير المرحوم أفندي صاحب رياض العلماء في ترجمة الملا عبد الله اليزدي إلى كتاب باللغة الفارسية للرازي عنوانه هفت اقليم.[4] ويستعرض بالتفصيل أحوال ومصنّفات الملا عبد الله اليزدي، وله نقود على زعمه نقلها الرازي،[5] ويشير إلى تذكرة الرازي بنفس العنوان، ويذكر ملاحظات شيّقة وأحيانًا غير صحيحة.[6]

---

١. المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٩٥. العدد ٢٠٥٥.

٢. المصدر نفسه، ج ٣، صص ٤٧٢ و ٤٧٣. العدد ١٧٣٦.

٣. يذكر الشيخ هذا التاريخ نقلاً عن كشف الظنون للجلبي، وقيل أنّ تاريخ شروع تأليف هذه التذكرة هو سنة ٩٩٦هـ والفراغ منها سنة ١٠٠٢هـ. احمد رازى، امين؛ تذكرهٔ هفت اقليم؛ ج ١، ص ١٠.

٤. المصدر نفسه، ج ٣، ص ٥٢.

٥. احمد رازى، امين؛ تذكرهٔ هفت اقليم؛ ج ١، ص ١٥١.

٦. افندى، عبد الله؛ رياض العلماء؛ إعداد: احمد الحسينى؛ ج ٣، صص ١٩١ إلى ١٩٤. من الواضح أنّ المرحوم السيد علي خان مدني خلط بين ترجمة الملا عبد الله الشوشترى وترجمة الملا عبد الله اليزدي. ولكن مع ذلك لا يقصد بالملا عبد الله الملا عبد الله الشوشتري بشكل مطلق. لا سيما مع وجود شخص اسمه حسن علي

هـ) بعض المشاهير في أسرة الملا عبد الله

الكتب الأربعة الحديثية الشيعية كتبها ثلاثة رجال عظام إيرانيين هم الشيخ الكليني الرازي صاحب الكافي، والشيخ الصدوق القمي صاحب من لا يحضره الفقيه و شيخ الطائفة الطوسي صاحب التهذيب و الاستبصار. وهؤلاء الرجال الثلاثة يحملون نفس الاسم والكنية: محمد وأبو جعفر، وهم يعدّون من المتقدمين، في المقابل هناك المحمدون الثلاثة[1] من المتأخرين الذين صنّفوا كتبًا حديثية مشهورة ويعرفون بالمحمدين الثلاثة المتأخرين، وعُرف العلماء العظام السابقون بالمحمدين الثلاثة المتقدمين. يقول الشيخ آغا بزرك في كتابه الذريعة تحت عنوان «الكافي»: الكافي هو الأرفع منزلة وشأنًا بين الكتب الأربعة، والشيخ الكليني هو الأكثر وثاقة بين مؤلفي الكتب المذكورة. ثم يستعرض في البداية الشروح والحواشي المدوّنة على الكافي فيذكر حاشية الشيخ أبو الحسن معتوق العاملي ـ جدّ صاحب جواهر الكلام - المتوفى في سنة ١١٣٨هـ، وكتب الحواشي المذكورة على حاشية كتاب الصلاة في إحدى نسخ الكافي الملا عبد المطلب الكليدار خازن وسادن الحضرة العلوية المطهرة وتلميذ المعتوق ومجازًا من قبله. وكان عبد المطلب هذا من أعقاب الملا عبد الله اليزدي وابن الملا عبد الله بن الملا طاهر الكليدار، وقد فرغ من كتابة الكتاب المذكور في سنة ١١٢٨هـ ، وفي نفس السنة قرأ على أبي الحسن ذلك الجزء من الكافي فاستجازه، وإليك نص الإجازة: «بسم الله الرحمن الرحيم، قد أنهاه مقابلة وقرائة وتدقيقا وتحقيقا الولد الاعز الصالح الفالح الالمعى اللوذعى الزكى النحرير الكامل خازن حضرة مولانا وسيد الاوصياء وامام أهل الارض والسماء أسد الله الغالب أمير المؤمنين على بن أبىطالب صلوات الله عليه، مولانا عبد المطلب وفقه الله فى مجالس عديدة آخرها آخر شهر جمادى الثانية من سنة ثمان وعشرين ومائة وألف، وقد أجزت له كثر الله أمثاله أن يروى عنى عن مشايخى ما قرئه علىّ وسمعه منى وغير ذلك

اليزدي كان ما يزال موجودًا بعد عصر الملا عبد الله اليزدي (احمد رازى، امين؛ تذكرهٔ هفت اقليم؛ ج ١، ص ١٦٥). فربما كان ذلك مدعاةً بشكل أكبر للخلط بين هذين الجليلين ـ أعني الملا عبد الله الشوشترى والد الشيخ حسن على الشوشترى والملا عبد الله اليزدي.

[1]. الشيخ محمد محسن الفيض الكاشانى صاحب الوافى والشيخ محمد بن حسن الحر العاملى صاحب وسائل الشيعة والشيخ محمد باقر المجلسي صاحب بحار الانوار.

من أخبار أصحابنا رضوان الله عليهم، مراعيا لجانب الاحتياط، وحرره العبد الضعيف، الراجى فضل ربه اللطيف أبو الحسن الشريف حامدا مصليا.»

ويضيف آغا بزرك بأنّ والد الملا عبد المطلب وهو الملا عبد الله كان أيضًا من العلماء كولده، وعاش في القرن الحادي عشر الهجري، وجدّه الملا طاهر الكليدار وجده الأعلى الملا محمود وكلهم تولّوا سدانة الحضرة العلوية المطهرة، وذكره العلامة المجلسي في نهاية باب موضع القبر الطاهر للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في مجلد مزار بحار الأنوار، وجميعهم من ذرية الملا عبد الله اليزدي صاحب الحاشية على تهذيب المنطق الذي كان أول سادن في أسرته للحضرة العلوية المطهرة في عهد الدولة الصفوية.[1]

آخر الكلام

لا شك في أنّ موسوعة الذريعة تعدّ إحدى مفاخر عالم التشيّع والتي تدلّ على تألّق وازدهار سوق العلم في محافل علماء الشيعة منذ عصر صدر الإسلام إلى يومنا هذا. من خلال نظرة إلى سعة نطاق الموضوعات المدونة في تاريخ الشيعة وحجم المصادر وكثرتها في هذا المجال يشير إلى الاهتمام الوافر للعلماء الشيعة بنشر الثقافة الإسلامية وترويجها عبر التأليف والتدوين. طبعًا لا يقتصر صرح التدوين الشامخ الذي شيّده الشيعة على موسوعة الذريعة بل هناك تصانيف كثيرة لم تسجّل على الرغم من الجهود الجبارة للعلامة آغا بزرك الطهراني في الذريعه أو إنّها اندرست على مرّ التاريخ، لتظهر تصانيف أخرى كثيرة وسوف تظهر في المستقبل.

إنّ مراجعة سريعة لبعض المصادر مثل كتاب تأسيس الشيعة للعلامة السيد حسن الصدر تكشف لنا عن مدى سعة الميادين العلمية التي فتحها الشيعة و الذريعة استطاع تسجيل بعض تلك الفتوحات، وبلا شك هذا

---

[1]. طهراني، آغا بزرك؛ الذريعة إلى تصانيف الشيعة؛ ج ۶، صص ۱۷۹ و ۱۸۰. عبارة الشيخ كما يلي: «هو أول من فوضت إليه الخزانة الغروية فى عصر الملوك الصفوية» و يبدو أنّ المقصود من ذلك أنّه بعد النقباء والسادة الذين تولّوا سدانة الحرم العلوي المطهر ومسؤولية الخزانة العلوية ، فإنّ الملا عبد الله الذي لم يكن من السادة العلويين قد فُوّض سدانتها بخلاف القواعد والتقاليد والأعراف التي كانت سائدة في ذلك الوقت والتي تقضي بتولي السدانة شخص من السادة العلويين، ونُصّب بهذا المنصب من قبل ملوك الصفوية، وانتقال المنصب إلى نسله كان بسبب تنفيذ حكم التنصيب وليس تفويضهم السدانة بحكم الوراثة كما كان شائعًا في أوساط السادة في ذلك الوقت.

الكتّاب يعدّ مفخرة كبرى للشيعة ويستحق كل التقدير والثناء والإعجاب، ولذلك فإنّ تكريم بناة هذا الصرح الحضاري العظيم أمر على قدر كبير من الأهمية والضرورة، والعلامة الملا عبد الله البهابادي اليزدي أحد هؤلاء العظام الذين بذلوا جهودًا حثيثة في سبيل الارتقاء بالثقافة الشيعية المدوّنة وله مساهمات في مسيرة الحضارة الإسلامية الصاعدة، من خلال تدوينه للعديد من التصانيف المتنوعة في مختلف الموضوعات والمجالات. فترك تراثًا ثرًا ومنبعًا فيّاضًا لرواد الثقافة الإسلامية في هذه الديار على الرغم من مرور خمسة قرون على تدوينه.

المصادر:

٢٢. أبو الحسني (منذر)، علي؛ فراتر از روش آزمون و خطا؛ مؤسسة دراسات التاريخ الإيراني المعاصر؛ ١٣٨٩.

٢٣. أحمد رازى، أمين؛ تذكرهٔ هفت اقليم؛ طهران؛ ١٣٧٨.

٢٤. أفندي، عبد الله؛ رياض العلماء؛ إعداد: أحمد الحسيني؛ قم: ١٤٠١هـ.

٢٥. الأمين العاملي، محسن؛ أعيان الشيعة؛ بيروت: دار التعارف للمطبوعات؛ ١٤٠٣هـ.

٢٦. ترحّمي بهابادي، أحمد؛ آخوند ملّا عبد الله بهابادى: صاحب حاشيه؛ منشورات بهاباد؛ يزد.

٢٧. جواهر كلام، عبد الحسين؛ تربت پاكان؛ قم: انصاريان، ط. الأولى، قم، ١٣٨١ش.

٢٨. الحسيني الجلالي، السيد محمد حسين؛ حياة الشيخ الطهرانى؛ مكتبة، متحف ومركز الوثائق في مجلس الشورى الإسلامي؛ ط. الأولى؛ طهران، ١٣٨١ش.

٢٩. طهرانى، آغا بزرك؛ الذريعة إلى تصانيف الشيعة؛ بيروت: الأضواء، ١٤٠٩هـ.

٣٠. عبد الرحيم، محمد علي؛ شيخ الباحثين آغا بزرگ الطهراني؛ النجف الأشرف، ١٣٩٠هـ.

٣١. فاضل قائيني، علي؛ معجم مؤلفي الشيعة؛ طهران: وزارة الإرشاد الإسلامي، ١٤٠٥هـ.

٣٢. مدرس، ميرزا محمد علي؛ ريحانة الأدب؛ ج ١؛ منشورات خيام؛ ط. الثالثة؛ ١٣٦٩ش.

٣٣. مدني، السيد علي خان؛ سلافة العصر؛ قم: مكتب النشر الإسلامي؛ ١٤٠٩ هـ.

٣٤. منزوي على نقي، «الذريعه و آقابزرگ تهرانى»، آينده، السنة ٦، الأعداد ٣ ـ ٤، ٧ ـ ٨ (خرداد، تير، مهر، آبان، ١٣٥٩ش)، صص٢٤٧ ـ ٢٥٣، ٥٨٨ ـ ٥٩٦.

٣٥. موسوي خوانساري، ميرزا محمد باقر؛ روضات الجنات؛ بيروت: مؤسسة الوفاء؛ ١٤٠٣هـ.

٣٦. همائي، جلال الدين؛ ديوان سنا؛ ج ١؛ إعداد: ماهدخت بانوهمائي، بلا تاريخ.

٣٧. يعقوبي، إسماعيل؛ آشنايى با مشاهير طالقان؛ مؤسسة محسني الثقافية للنشر؛ طهران، ١٣٧٤ش.

دراسة وصفية لحاشية الملا عبد الله البهابادي من منظار تحليل النوع الأدبي (Genre)

السيد عبد المجيد الطباطبائي لطفي*

طاهرة قاسمي**

ملخص

تحليل النوع الأدبي (Genre) عبارة عن مجال لدراسة الخصائص التي تميّز حقل دراساتي عن آخر على صعيد أسلوب التدوين. تستخدم دراسات تحليل النوع الأدبي اليوم، عادةً، في النتاجات الأكاديمية مثل المقالات والرسائل الجامعية. ولكن يبدو أنّ هذا التحليل قلّما استُخدم في الأعمال العلمية الأبعد تاريخيًا في الحضارة الإسلامية. يستخرج هذا المقال أولًا بأسلوب وصفي وفي إطار تحليل النوع الأدبي مؤشرات التحشية، ومن ثمّ يجيب عن السؤال: إلى أي مدى تتوفر حاشية الملا عبد الله على هذه المؤشرات؟ ويخلص البحث إلى أنّ حاشية الملا عبد الله قد دُوّنت خصيصًا لطلبة العلوم الدينية والجامعات المهتمين بتعلّم علم المنطق، وأنّ الهدف الرئيسي منه كان التعليم، أمّا أسباب نجاح هذه الحاشية فكانت إحاطة المحشيّ بعلم المنطق واتقانه لأسلوب تحرير الحواشي.

الكلمات المفتاحية: الملا عبد الله، الحاشية، حاشية الملا عبد الله، النوع الأدبي.

١. مقدمة

تحليل النوع الأدبي عبارة عن مجال لدراسة الخصائص التي تميّز حقل دراساتي عن آخر على صعيد أسلوب التدوين. برز هذا المجال وتألّق تدريجيًا في ثمانينيات القرن الماضي لغرض تصنيف أساليب الكتابة عبر تحديد خصائص التدوين في حقل خطابي بإزاء خصائص التدوين لحقول خطابية أخرى، وقد نتجت عنه معطيات أكثر عمقًا وتجريدًا. اعتقد ميلر[1] (١٩٨٤) بضرورة هذا النزوع إلى التصنيف، ووافقه في الرأي جانز (١٩٩٧) الذي عدّه أحد الخصائص البشرية. كان ميلر (١٩٨٤) يعتقد أنّ النوع الأدبي ينبغي تعريفه على أساس فاعليته الخطابية وليس محتواه أو شكله. فيما بيّن سويلز (١٩٩٠) أن هذا التعريف يجب أن يقوم على الهدف التواصلي.

ويتم استخدام دراسات تحليل النوع الأدبي اليوم بشكل مكثّف في الأعمال الأكاديمية مثل المقالات والرسائل الجامعية. ولكن يبدو أنّ هذا التحليل قلّما استُخدم في الأعمال العلمية الأبعد تاريخيًا في الحضارة الإسلامية. فدراسة الأعمال من قبيل الرسائل والحواشي واستخراج خصائصها المميّزة يمكن أن تتيح فهمًا أعمق لهذه الأعمال، وفي نفس الوقت توسيع مجال تحليل

---

* أستاذ مشارك في الجامعة الإسلامية الحرة، فرع قم.

** ماجستير تعليم لغة إنكليزية في الجامعة الإسلامية الحرة، فرع قم.

1. Miller

النوع الأدبي.

لقد شاع أسلوب التحشية أو كتابة الحواشي في إحدى المراحل التاريخية من الحضارة الإسلامية، وكانت الغاية هي تحقيق هدف محدّد. بالرجوع إلى معجم دهخدا نحصل على بعض الإيضاحات مفادها أنّ نطاق التحشية قبل القرن العاشر كان ضيّقًا ومحدودًا، بحيث أنّ المحشي كان يكتفي بتوضيح بعض العبارات المغلقة فحسب، وكانت الحواشي في تلك الفترة، بصورة عامة، أكثر وضوحًا من المتن نفسه. على العكس من ذلك في العصر الصفوي والقاجاري فقد ازدهر خلاله سوق تدوين الحواشي حتى أنّه سمّي بعصر التحشية، وكان عدد الحواشي كبيرًا وعبارات الحاشية أكثر تعقيدًا وإغلاقًا من عبارات المتن.

يستخرج هذا المقال أولًا بأسلوب وصفي وفي إطار تحليل النوع الأدبي مؤشرات التحشية، ومن ثمّ يجيب عن السؤال: إلى أي مدى تحمل حاشية الملا عبد الله هذه المؤشرات؟

٢. مقتطف تاريخ الأدب

لـ "النوع الأدبي" تعاريف عديدة، فهو عند سويلز[1] (١٩٩٠) مجموعة من الحوادث المرتبطة، وتعبّر الأشكال المتشابهة فيها عن أهداف تواصلية متشابهة قابلة للفهم والتحديد من قبل أفراد مجتمع الخطاب. ويقول باتيا[2] (١٩٩٣) أنّ النوع الأدبي للوهلة الأولى قابل للتعرّف من قبل الأهداف التواصلية. وهذه الأهداف التواصلية المشتركة هي التي تشكّل النوع الأدبي وتمنحه شكله الداخلي. وأيّ تغيير أساسي في الأهداف التواصلية ينتج عنها نوع أدبي وفروع له مغايرة. في نفس الوقت، فإنّ التغييرات الطفيفة والجزئية تساعدنا على تمييز فروع النوع الأدبي. بعبارة أوضح، يتمّ تعريف النوع الأدبي من خلال الأهداف المرتبطة والتعاقدية والمشتركة بين أفراد المجتمع الخطابي.

ومن خلال هذه القوانين تتأثّر النمذجة النصية أيضًا (باتيا، ١٩٩٣). كما يعتقد أنطوني[3] وسمارت[4] (١٩٩٤) أنّ النوع الأدبي هو: مجموعة متكاملة من الاستراتيجيات البلاغية الفاعلة للمنظومة في التفاعلات الاجتماعية فيما بينها.

ويستعرض جانز[5] (١٩٩٧) الفهم المشترك للنوع الأدبي عند أفراد المجتمع الخطابي الواحد على النحو التالي: الاسم المشترك، الأهداف المرتبطة المشتركة، الفهم المشترك إزاء الأدوار، الفهم المشترك إزاء التركيبة أو الموقع، السياق[6] المشترك، و غير ذلك. يتيح هذا الفهم المشترك التفاهم المتبادل بين أفراد المجتمع الخطابي الواحد. وفقًا لسويلز (١٩٩٠) فإنّ المجتمع الخطابي الذي يحظى أفراده بهذا العلم المشترك قادر على خلق نوع أدبي. ويعرّف رودغر (١٣٩٠) الحاشية نقلًا عن الخليل

1. Swales
2. Bhatia
3. Smart
4. Anthony
5. Johns
6. Register

بن أحمد الفراهيدي بقوله: «الحاشية من كل شيء جانبه وطرفه، وحاشية الكتاب ما عُلّق على الكتاب من زيادات وإيضاح». ووفقًا لرودغر فإنّ المعنى الآخر للحاشية والذي يرتبط بعلم المخطوطات هو الإشارة إلى الأطراف الخالية من المخطوطة. من ناحية ثانية، يضيف ردوغر: مع الأخذ بنظر الاعتبار جذر كلمة «حاشية» يمكن القول بأنّ مصطلح التحشية يحمل معنى «الحشو» (الإضافة) أيضًا، فالتحشية هي كتابة الإيضاحات والتعليقات في أطراف المكتوبات، ويقدّم معجم دهخدا تعريفًا مشابهًا لهذا وهو: الحاشية مشتقة من الحشو وهي الزيادة، ويضيف بأنّ التحشية تطلق على الكتب غير المعقولة والفلسفية؛ ذلك أنّ الحاشية من الحشو أي الزائد، ويستنكف أهل الفلسفة من إطلاق هذا اللفظ على تعليقاتهم.[1]

للتحشية تاريخ قديم وعريق. يقول جاكسون[2] (٢٠٠١، ص٤٤): صحيح أنّ الحواشي على المكتوبات التي في متناولنا تعود إلى ألفي سنة إلّا أنّ عمر التحشية نفسها هو بعمر المكتوبات، لأنّه كما تقترن الصاعقة بالرعد، فإنّ ملاحظات القراء أيضًا قد اقترنت بالنصوص الأصلية نفسها، حيث يقدّر ديكي[3] (٢٠٠٧) قِدمها بأربعة آلاف سنة، وينسبها إلى المرحلة التي بدأت فيها شعوب حوض المتوسط بالمطالعة المنتظمة للغة والنصوص، ويعتقد أنّ اليونانيين قد وصلوا متأخرين إلى هذا الفن قياسًا بالحضارات الأخرى في الشرق الأوسط (مثل البابليين الذين دوّنوا المعجم السومري في حوالي ألفي سنة قبل الميلاد، بينما تشير الآثار التاريخية إلى أنّ اليونانيين توصّلوا إلى هذا الفن في حوالي ٥٠٠ سنة قبل الميلاد).

مع ازدهار الحضارة الإسلامية ظهرت التحشية في أوساط المسلمين وانتشرت. ووفقًا لما يقوله رودغر (١٣٩٠، ص١٠١) فإنّ الحاشية والتحشية قد تحوّلت في وقت مبكر في العصر الإسلامي إلى مصطلح رائج في دراسات المخطوطات، وقد صرّح الخليل بن أحمد الفراهيدي، صاحب أقدم معجم لغوي عربي، بموضع الحاشية واستعمالها في كتابه "العين".

وبشكل عام، تتم التحشية في ثلاثة مواضع هي: في أطراف المتن،[4] وبين سطور المتن،[5] وخارج المتن[6] ككتاب مستقل (ديكي، ٢٠٠٧، ص١١). في اللغة اليونانية تستعمل كلمة «اسكوليا»[7] للإشارة إلى جميع أنواع الحواشي، وتعدّ الحالات المذكورة أعلاه، بنحوٍ أو بآخر، نوعًا منها.

وللحواشي استعمالات متفاوتة حسبما يرتأيه المستخدم، منها الأمور التالية: التفسير، الترجمة، النقد والتلخيص. وقد صنّف ردوغر (١٣٩٠) كتابات الحواشي للمخطوطات الإسلامية من حيث المضمون إلى أربع فئات: ضبط الكلمات والأسماء، تدوين سقطات الكتابة، التفسير والشرح والنقد، ذكر عناوين أبواب الكتاب وفصوله.

ويذكر رودغر (١٣٩٠) بعض المصادر في حقل تدوين الحواشي وأساليب درجها في الكتب. طبعًا يضيف بأنّ عدد

---

[1]. دهخدا، علي‌اكبر، معجم دهخدا، ص٩٨.

[2]. Jackson

[3]. Dickey

[4]. Maginalia

[5]. Gloss

[6]. Hypomnema

[7]. Scholia

هذه المصادر محدود وجميعها باللغة العربية، ونادرًا ما نجد المصادر باللغة الفارسية. من أقدم هذه المصادر كتاب المحدّث الفاصل بين الراوى و الواعى للقاضي حسن الرامهرمزي الشهير بابن خلّاد (٣٦٠هـ). يعتقد رودغر أنّ تدوين هذه التعليمات وتحديد قواعد التحشية وضوابطها يعكس حقيقتين اثنتين: شيوع تدوين الحواشي، وعدم وحدة الأساليب في تدوينها.

في ضوء هذه السابقة أعلاه يمكن القول، بشكل عام، أنّ تدوين الحواشي شكّل في مرحلة من مراحل التاريخ في الحضارات المختلفة نوعًا أدبيًا مستقلًا يسعى لتحقيق أهداف خطابية خاصة، وطبعًا أصبح له قوانينه ونماذجه النصّية الخاصة به، وقد انتظمت هذه النماذج ضمن أربعة محاور: المخاطب، الهدف التواصلي، محل الدرج، صورة المكتوب.

بحسب اعتقاد ترحمي بهابادي فإنّ تهذيب المنطق والكلام أشهر كتاب للعلامة سعد التفتازاني ويضم بابين: المنطق والكلام. من المزايا التي يتميّز بها باب المنطق هو شرحه لجميع قضايا المنطق المهمة وبإيجاز شديد. وقد دوّنت عليه شُروح عديدة، أشهرها، بحسب رأي ترحمي بهابادي، حاشية نجم الدين عبد الله شهاب الدين حسين البهابادي، والمعروف بحاشية الملا عبد الله، ويُذكر المؤلف بعبارة «صاحب الحاشية».

يشير ترحمى بهابادى أنّ حاشية الملا عبد الله هي من بين العوامل المؤثرة في شهرة كتاب تهذيب المنطق والكلام للتفتازاني، ويتميّز بالدقة والكمال بحيث أنّ المدرسين والطلبة يستعينون به أكثر من كتاب التفتازاني نفسه.

جدير بالذكر، أنّه وفقًا لما ذكره ترحمي بهابادي، فإنّ الشيخ الملا عبد الله بالإضافة إلى حاشيته الشهيرة على تهذيب المنطق للتفتازاني، التي كتبها باللغة العربية والتي عُرفت بحاشية الملا عبد الله، فقد كتب شرحًا على نفس كتاب التفتازاني باللغة الفارسية.

٣. أسلوب التحقيق

كما ذكرنا سابقًا، فإنّ هذا المقال بصدد استخراج محددات النوع الأدبي في التحشية في إطار تحليله، ومن ثم الإجابة عن السؤال: ما مدى توفر حاشية الملا عبد الله على هذه المحددات؟ بصورة عامة، فإنّ أسلوب التحقيق في هذا المقال وصفي وبواسطة تحليل المضمون.

استنادًا إلى المباحث المطروحة عن الخلفية الأدبية ذات الصلة بتحليل النوع الأدبي وكذلك التحشية، هناك بشكل عام أربعة محاور لتحليل محددات النوع الأدبي للتحشية، هي كالتالي: المخاطب، الهدف التواصلي، محل الدرج، صورة المكتوب. من مجموع العناصر المذكورة، يمكن استخراج جدول على النحو التالي:

جدول١. عناصر تحليل حاشية الكتابات

المخاطب			الهدف التواصلي						
مؤلف الحاشية	مؤلف النص	القراء الآخرون	ملاحظة	تسجيل المشاعر	شرح	نقد	تنقيح	بسط	ترجمه

نفسه	الأصلي							
مكان الدرج		**المواصفات المكتوبة**						
رفقة النص الأصلي		خارج النص الأصلي	اللغة		المختصرات		اللون	
في حاشية الصفحة	بين خطوط		مطابقة للنص	مغايرة للنص الأصلي				

تحليل النوع الأدبي لحاشية الملا عبد الله طبقًا للجدول المبتكر ١ ثم بحث المعطيات ودراستها.

٤. المعطيات

للإجابة عن السؤال: أيّ خصائص تتوفر عليها حاشية الملا عبد الله؛ الجدول رقم ١ هو معيار تحليل الحاشية المذكورة. ممّا يجدر ذكره أنّه بسبب توفر المخطوطة الأصلية تعذّر تحديد بعض النقاط. لذا، فقد وردت علامة سؤال في هذه النقاط. وذُكرت النتائج في الجدول رقم ٢:

الجدول٢. نتائج تحليل حاشية الملا عبد الله

المخاطب			**الهدف التواصلي**						
محرّر الحاشية	مؤلف النص الأصلي	القراء الآخرون	تذكير	تسجيل المشاعر	شرح	نقد	تنقيح	بسط	ترجمة
		✓			✓	✓	✓	✓	
محل الدرج			**المواصفات المكتوبة**						
رفقة المتن الأصلي		خارج النص الأصلي	اللغة		المختصرات		اللون		
في حاشية الصفحة	بين السطور		مطابق للنص الأصلي	مغاير للنص الأصلي					
		✓	✓ (عربي)		؟		؟		

٥. بحث ونتيجة

في هذا القسم تناقش المعطيات والنتائج المتحصلة من التحقيق بحسب ترتيبها في الجدول رقم ٢. النقطة الأولى مخاطب الحاشية. يقينًا لا يمكن أن يكون مخاطب الحاشية هو العلامة سعد الدين التفتازاني؛ لأنّه لم يعاصر المحشّي فقد عاش قبله

بقرنين. كما لا يبدو أنّ مخاطب الحاشية هو الملا عبد الله لأنّها دُوّنت لأغراض تعليمية وهي أبعد من أن تكون تأمّلات وخواطر للملا عبد الله لأجل التذكير. وعليه، نستنتج بأنّ الملا عبد الله دوّن الحاشية للقراء وطلبة العلم.

العنصر الثاني في تحليل النوع الأدبي لحاشية الملا عبد الله هو الهدف التواصلي. فمن حيث أنّ المخاطب هو القارئ والطالب المتعلّم لعلم المنطق، لذا يمكن أن نتوقّع أنّ الهدف التواصلي كان شرح كتاب التفتازاني وبسطه ونقده وإلى حدّ ما تنقيحه. عدا عن أنّ تحليل نص الحاشية يسوقنا إلى هذه النتيجة أيضًا.

العنصر الآخر في تحليل حاشية الملا عبد الله هو محل درجها. فمن حيث أنّ أيًّا من المخطوطات المدوّنة بخط الملا عبد الله لم تكن في متناول كاتبي المقال، فإنّ مطالعة هذا الجزء قد تمّت بالرجوع إلى المخطوطات المحفوظة في جمعية الوثائق والمكتبة الوطنية في الجمهورية الإسلامية في إيران وكذلك مكتبة المتحف ومركز وثائق مجلس الشورى الإسلامي. لا يوجد بين المخطوطات المذكورة النص الأصلي لتهذيب المنطق والكلام للتفتازاني، وإنّما حاشية الملا عبد الله في متن الصفحة وتعليقات المحققين الآخرين في الحاشية. على أيّ حال، هناك احتمال أن يكون الملا عبد الله قد دوّن حاشيته إلى جانب صفحات متن التفتازاني، وهذا يتطلّب أنّ إحدى مخطوطات تهذيب المنطق والكلام للتفتازاني كانت بحوزته.

العنصر الأخير في تحليل الحاشية للملا عبد الله مواصفاتها المكتوبة. دُوّنت هذه الحاشية باللغة العربية وفقًا للغة النص الأصلية، أعني تهذيب المنطق والكلام للتفتازاني. ولكن نظرًا لعدم وجود المخطوطة الأصلية فقد تعذّر على المحققين الراهنين تحديد لون الحبر لرسم الخطوط واستخدام المختصرات المحتملة وغير ذلك.

من مجموع الملاحظات المذكورة أعلاه نستنتج أنّ تحرير حاشية الملا عبد الله قد تمّ خصيصًا للطلبة المهتمين بتعلّم علم المنطق، ما يعني أنّ الهدف التواصلي الرئيسي كان التعليم. وأمّا عن أسباب نجاحه كما يستعرضها أصحاب الرأي مثل حجة الإسلام والمسلمين أبو القاسم علي دوست عضو جماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم فهي: الإحاطة التامة للملا عبد الله بالمنطق، وإلمامه بفن التأليف، وجامعية الموضوعات المطروحة، وحظوتها بفرصة العرض والنشر.

المصادر:

٣٨. ترحّمی بهابادی، أحمد، آخوند ملّا عبد الله بهابادی: صاحب حاشیه، منشورات بهاباد، یزد.

٣٩. رودغر، ق. ع، حاشیه و حاشیه‌نویسی در نسخه‌های خطی (بر اساس متون کهن)؛مجلة نامه بهارستان السنة ١٢، الجزء ـ ١٩: ١٠١ ـ ١١٤.

٤٠. دهخدا، علي أكبر، لغت‌نامه دهخدا، بإشراف: محمد معين، جعفر شهيدی، مؤسسة لغت‌نامه دهخدا، طهران.

۴۱ . علی دوست، أبو القاسم؛ حاشیه ملاعبدالله بهترین کتاب برای تدریس منطق است. وکالة أنباء رسا. متاحة علی الموقع:

http://www.rasanews.ir/NSite/FullStory/News/?Id=288604

۴۲ . الملا عبد الله بن حسين اليزدي؛ حاشيه ملا عبد الله: به خط كلب على القزويني؛ طهران؛ يمكن تنزيلها من موقع المكتبة، المتحف، ومركز الوثائق في مجلس الشورى الإسلامي. متاحة على الموقع:

http://dlib.ical.ir/site/catalogue/531560

43. Anthony, P. & Smart, G. (1994).“Observing Genres in Action: Toward a Research Methodology.”Genre and the New Rhetoric.Ed.Aviva Freedman and Peter Medway. Bristol: Taylor and Francis, 1994. 146-54. Print.

44. Bhatia, V. K. (1993). Analyzing genre: Language use in professional settings. London: Longman.

45. Dickey, E. (2007).Ancient Greek Scholarship: A guide to finding, reading, and understanding scholar, commentaries, lexica, and grammatical treatises, from their beginnings to the byzantine period. Oxford University Press.

46. Johns, A. M. (1997). Text Role and Context: Developing Academic Literacies. Cambridge University Press.

47.Jackson, H. J. (2001). Marginalia: Readers writings in books. Yale University Press. New Haven and London

48.Miller, C. R. (1984). “Genre as social action”, Quarterly Journal of Speech 70: 151-67.

49.Swales, J. (1990).Genre analysis: English in academic and research settings. Cambridge: Cambridge University Press.

مدرسة شيراز والملا عبد الله البهابادي اليزدي من منظار الشهيد مطهري

علی‌اصغر حسینی

ترجمة: حسين صافي

ملخص

في كتابه الموسوم الإسلام وإيران وكذلك في بعض مؤلفاته الأخرى ارتأى الشهيد الأستاذ مرتضى مطهري أن يضع تصنيفًا خاصًا بالفلاسفة مستعرضًا أسماء الذين تركوا بصمات خالدة في التاريخ الإيراني الإسلامي من مؤلفين وحملة لواء المنطق والفلسفة.

مدرسة شيراز العلمية العقلية التي ظهرت بعد الخواجه نصير الدين الطوسي واستمرّت إلى صدر الدين الشيرازي كان لها الفضل في ازدهار الفلسفة والعرفان والفن والأدب، وقد أنجبت العديد من العلماء والفنانين والفلاسفة العظام. يحتل المرحوم الملا عبد الله البهابادي مكانه في الطبقة العشرين في تصنيف الشهيد مطهري لحملة لواء العلوم العقلية، بينما موقع تلامذته في الطبقة الحادية والعشرين. إذن، نرى أنّ مدرسة شيراز في الفلسفة والمنطق هي مدرسة مهمة وموقع الملا عبد الله اليزدي وتلامذته لا يُنكر، و هو ما دفعنا في هذه الورقة إلى أن نتناول بالبحث والتفصيل الآراء الشيّقة للمرحوم مطهري في مدرسة شيراز والملا عبد الله اليزدي وتأثيراته الفكرية.

الكلمات المفتاحية: الملا عبد الله البهابادي اليزدي، مدرسة شيراز، الشهيد مطهري.

مقدمة

يعدّ الكتاب القيّم الإسلام وإيران للمرحوم الأستاذ الشهيد آية الله مرتضى مطهري من أهم ما كتب في طبقات الفلاسفة والحكماء في إيران. فبالإضافة إلى الرأي الخاص في دور المنطق والفلسفة في الحضارة الإسلامية والعقلانية الإسلامية،[1] فقد قسّم باب الحكمة والمنطق في كتابه المذكور إلى ٣٣ طبقة. وبما أنّ

[1]. أنظر: مطهری، مرتضی، آشنایی با علوم اسلامی (منطق و فلسفه).

محور بحثنا في هذه الورقة هو شخصية المرحوم الملا عبد الله اليزدي وإضاءة الجوانب الخاصة بمدرسة شيراز العلمية العقلية،[1] فسوف نسعى ألّا نبتعد عن هذا المحور. تربّعت الفلسفة والعرفان والفن في هذه المدرسة على قمة الإبداع بفضل ظهور ثلة من العلماء والفنانين والفلاسفة والحكماء، وتتصدّر هذه المدرسة ثلاثة شخصيات فلسفية مهمة هي: صدر الدين الدشتكي، جلال الدين الدواني، غياث الدين الدشتكي.

قدّم الأستاذ الشهيد مطهري في كتابه المذكور تصنيفًا للعلماء زعم فيه أنّه الأول من نوعه، ولم يقدم أحد قبله على مثل هذا التقسيم حتى ذلك الوقت، واحتل المرحوم الملا عبد الله موقعه في الطبقة العشرين ضمن العلماء من حملة لواء العلوم المعقولة. عاش المترجم له في القرن العاشر الهجري، وقد نشطت مدرسة شيراز العلمية منذ أواسط القرن السابع الهجري في عصر شهد حملات المغول ومجازرهم الرهيبة بحق الناس عامة وأهل العلم والمعرفة بشكل خاص حيث يقول الشاعر في وصف تلك الظروف:

هنر اكنون در دل خاك طلب بايد كرد كه كنون در دل خاكند همه پرهنران[2]

من ناحية ثانية، شهدت العلوم المعقولة في معظم حواضر العلم في العالم الإسلامي انحسارًا بسبب حملات بعض العلماء مثل الغزالي. وقد بدا أنّ ضياء شعلة العلوم قد خبت في إيران أسوةً ببقية بلاد الإسلامية، لكنّ شيراز استطاعت في ذلك الوقت أن تنهض شيئًا فشيئًا لتحافظ على وهج هذه الشعلة، ثم انتقلت هذه النهضة العلمية لاحقًا إلى أصفهان في العصر الصفوي بفضل جهود عدد من العلماء والحكماء الفطاحل[3] المصنّفين في الطبقة الحادية والعشرين ضمن تلامذة المرحوم الملا عبد الله البهابادي اليزدي.

الملاحظة الجديرة بالذكر هنا أنّ المرحوم الأستاذ الشهيد المطهري يشير في صفحة ٥٤٠ من كتابه المذكور إلى أنّ طبقات العلوم المعقولة على صعيد الأستاذ والتلميذ قد شكّلت سلسلة منتظمة غير منقطعة ممّا يشي بوجود ثقافة وجهود علمية

---

[1]. مدرسة شيراز مصطلح يطلق على المرحلة التي تبدأ مباشرة بعد الخواجة نصير الدين الطوسي وتنتهي بصدر الدين الشيرازي، وتنسب إلى شيراز نظراً إلى نطاق شيوعها، هذا على الرغم من أنّ بعضهم يرجّح إطلاق حوزة شيراز بدلًا من مدرسة شيراز.

[2] المعنى: اطلب الفن في أعماق التراب فالفنانون كلهم الآن في جوف التراب.

[3]. مثل ميرداماد و الشيخ البهائي و السيد ميرفندرسكي.

متواصلة في ذلك الزمان. يقول الأستاذ مطهري في هذا الخصوص: «عند رجلين فقط في هذه الطبقات الثلاثة والثلاثين نواجه مجهولًا من حيث سلسلة الأستاذ التلميذ: الأول هو الملا إسماعيل خواجوئي الذي لم يُذكر أستاذه، والثاني نخر الدين السماكي أستاذ ميرداماد، وهذا أيضًا لا يُعرف أستاذه». (طبعًا اتّضح لنا فيما بعد أنّ غياث الدين منصور الدشتكي ابن السيد صدر الدين الدشتكي المعاصر للعلامة الدواني مؤسس الحوزة العلمية المنصورية بشيراز هو أستاذ السماكي في المعقول.)

إذا اعتبرنا أنّ المرحوم الشيخ البهائي (م ١٠٣٠هـ) من أساتذة الفلسفة والعلوم المعقولة، فهو تلميذ المرحوم الملا عبد الله اليزدي (م ٩٨١هـ) ويقع في الطبقة الحادية والعشرين. ثم ينتقل عبر سلسلة الأستاذ والتلميذ إلى الطبقة الثالثة عشرة أستاذ البشرية الخواجة نصير الدين محمد بن الحسن الطوسي ومن ثم إلى أعجوبة الدهر ونادرة العصر في الطبقة السادسة أعني أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا.

والآن نتحدّث عن مدرسة شيراز من خلال التركيز على الملا عبد الله ومعاصريه وتلامذته وأساتذته.

نبذة عن شخصية الملا عبد الله ومجايليه من العلماء في الطبقة العشرين

المرحوم الملا عبد الله اليزدي صاحب الحاشية على تهذيب المنطق والمعروفة بحاشية الملا عبد الله هو أحد الشخصيات المؤثّرة وخريج مدرسة شيراز الحكمية. يقول عنه الأستاذ الشهيد مطهري في الباب الثالث من كتابه الإسلام وإيران: «وقد ادّعى بعضهم أنّه كان جاهلًا بالأمور الشرعية وعلى العكس من ذلك نقول: كان فقيهًا من أهل العقول ولا سيّما المنطق، تتلمذ في شيراز لدى جمال الدين محمود والأمير غياث الدين الدشتكي، (ستأتيك ترجمته في هذا المقال). هاجر الملا عبد الله في أواخر عمره إلى العراق وجاور العتبات المقدسة حتى توفي فيها عام ٩٨١هـ، وعُيّن من قبل البلاط الصفوي سادنًا للحرم العلوي الشريف، وكان في الحقيقة حاكمًا لمدينة النجف الأشرف حتى وفاته فيها عام ٩٨١هـ.[1]

[1]. مطهری، مرتضی؛ خدمات متقابل اسلام و ایران؛ ص ٥٠١. موسوی خوانساری، میرزا محمد باقر؛ روضات الجنات، ص ٣٥٨.

من زملائه المعاصرين في تلك الحقبة الملا حبيب الله الباغنوي الشيرازي الشهير بالملا ميرزاجان وفاضل الباغنوي، من تلامذة جمال الدين محمود، كتب عدّة تعليقات وهوامش على شروح وحواش للعلامة الدواني. توفي في عام ٩٩٤هـ، جاء ذكره في الطبيعيات من شرح المنظومة للسبزواري بعنوان الفاضل الباغنوي.

شخصية أخرى في ذلك العصر، وهو شمس الدين محمد الخفري الشيرازي تلميذ الأمير غياث الدين منصور، والظاهر أنّه أدرك دروس العلامة الدواني والسيد صدر الدين الدشتكى. له حواش على شرح التجريد وشرح حكمة العين ورسالة بعنوان: إثبات الواجب، كان دقيق النظر، وقد نقل صدر الدين الشيرازي عنه في المجلد الأول من الأسفار عدّة مطالب وبحث حولها. ويمكن أن يعدّ الخفري من الطبقة التاسعة عشرة، فهو من شباب تلك الطبقة وكبار طبقة العشرين، مات عام ٩٥٧ أو ٩٣٥هـ.

عالم آخر من خريجي مدرسة شيراز هو الخواجة أفضل الدين تركة من تلامذة جمال الدين محمود.[1] قال صاحب روضات الجنات: الفاضل الحكيم الخواجة أفضل الدين محمد بن حبيب اللّه المعروف بـ(تركة)، كان أستاذ الشيخ أبي القاسم الحكيم الكازروني الإمامي المعروف بـ(نصر البيان)، وقال نصر البيان في كتابه سلم السموات في تاريخ الحكماء بشأن أستاذه (تركة): إنّ شهرة هذا الأستاذ وبزوغه كان ما بين سنين ٩٧٠ - ٩٩٠هـ في خراسان والعراق.

الشخصية العلمية الأخرى المعاصرة للملا عبد الله البهابادي هو الملا الحكيم داوود بن عمر الأنطاكي المصري. يقول الأستاذ مطهري عنه: رأينا ذكره في كتاب نامه دانشوران. كان من أجلّاء الأطباء الفضلاء والحكماء في أواخر القرن العاشر وأوائل القرن الحادي عشر. وجاء فيما أملاه من أحواله وُلد أعمى في أنطاكية، وكان حتى السابعة من عمره مشلولًا، ومع ذلك حفظ القرآن وتعلّم المقدمات، وكان يسأل الله عزّ وجلّ الشفاء والتوفيق، حتى عالجه رجل من العجم اسمه محمد شريف فشُفي، وعلّمه الأنطاكي في أن يتعلّم

---

[1]. دوانى، على؛ شرح زندگانى جلال‌الدين دوانى؛ ص ١١٠.

منه الفارسية فيقول له محمد شريف: الأولى أن تتعلم اليونانية، وليس في هذه الديار أحد يعرف اليونانية مثلي. وسافر داوود إلى القاهرة فرآهم غير آبهين بالعلوم العقلية، فذهب إلى الحج وجاور مكة، وتوفي في سنة ١٠٠٨هـ، له مؤلفات منها رسالة في العشق العرفاني ذكرت في نامه دانشوران، وتُذكر له قصص عن حفظه ومهارته في المتون الفلسفية والطبية كالقانون والشفاء والإشارات والنجاة والتعليقات والمحاكمات والمطارحات والحكمة الشرقية ورسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء.[1]

الطبقة الحادية والعشرون، تراجم التلامذة

يقول الأستاذ الشهيد مطهّري في حديثه عن علماء المعقول في الطبقة الحادية والعشرين: «لا أعرف حوزة علمية تُذكر بعد حملة المغول غير حوزة فارس (شيراز) لأسباب ليست بيّنة حتى الآن، نعم كان بعض العلماء في هرات وسمرقند، وأماكن أخرى، ولكن حوزة يمكن أن تسمى حوزة كانت في شيراز فقط.»

وحوزة شيراز كانت - مع الأسف- جدلية، فقد كانت الجهود فيها طوال قرنين ونصف قرن تصرف للمجادلات، يكتب أحدهم كتابًا أو رسالة فيشرحها الآخر ويعلّق عليها الثالث ويكتب عليها الرابع هوامش وحواشي على الحواشي .... في الحقيقة يريد الأستاذ مطهري أن يقول بأنّه لم تكن هناك فائدة علمية مترتبة على هذه المجادلات العلمية، ولكن مع ذلك كان دور مدرسة شيراز تمهيديًا.

وعلى عهد الشاه عباس الكبير ظهر شيوخ كالسيد ميرداماد والشيخ البهائي والميرفندرسكي، فأصبحت أصفهان مركزًا للعلوم العقلية الإسلامية حتى أنّ السيد صدر الدين هاجر من وطنه شيراز إلى أصفهان لتحصيل المزيد من العلم. ومن خصائص الحوزة الفلسفية في أصفهان، أن لم يكن فيها أيّ شيء من الأبحاث والجدليات غير المفيدة.

تلميذ آخر من تلامذة الملا عبد الله وهو المرحوم الشيخ بهاء الدين محمد بن حسين بن عبد الصمد العاملي،

---

[1]. جماعة من الباحثين، نامه دانشوران ناصرى، ج ٩، ص ٨٩.

كان من مهاجري جبل عامل، كان الشيخ البهائي نابغة في الجمع بين العلوم والفنون المختلفة، ولا نعرف من شيوخه وأساتذته في العلوم العقلية (المنطق والفلسفة) أحدًا سوى المولى عبد الله اليزدي. في حاشيته على تفسير البيضاوي كتب المرحوم الشيخ البهائي عن أستاذه الملا عبد الله البهابادي. وتتصل سلسلة أساتذته عن طريق الملا عبد الله بالخواجة نصير الدين الطوسي ثم بابن سينا. الشيخ البهائي كان حكيمًا فيلسوفًا أديبًا فقيهًا مفسرًا رياضيًا مهندسًا شاعرًا. وليست لدينا معلومات عن تلامذته وحوزة درسه في الفلسفة، يقال أنّ صدر الدين الشيرازي كان يحضر درس الشيخ البهائي ولمّا رأى الشيخ نبوغه المتفوق بعثه إلى درس السيد ميرداماد. وليس بأيدينا أيّ أثر من الشيخ في الفلسفة إلّا رسالة واحدة في وحدة الوجود قيل طبعت أخيرًا في مصر. توفي الشيخ البهائي في سنة ١٠٣٠هـ، ودُفن في مشهد الرضا (عليه السلام).

ومن تلاميذ الملا عبد الله أيضًا نجل الشهيد الثاني. في الوقت الذي كانت للملا عبد الله حوزة درس معتبرة في إيران، كان يقوم بإعداد تلاميذ فطاحل في النجف الأشرف مثل صاحب المعالم (نجل الشهيد الثاني). وهنا تبرز ملاحظة وهي كيف استطاع خريج مدرسة شيراز أن يؤثّر في النجف الأشرف.

الطبقة الثانية والعشرون

لا بأس هنا من تقديم نبذة سريعة عن رجال هذه الطبقة ورجالها من تلامذة الشيخ البهائي وميرداماد وميرفندرسكي:

١. رفيع الدين محمد بن حيدر الحسيني الطباطبائي النائيني المعرف بالميرزا رفيعا، كان من تلامذة الشيخ البهائي وميرفندرسكي، له رسالة في أقسام التشكيك، وله هوامش على شرح الإشارات للخواجة وشرح حكمة العين للشريف الجرجاني. ورسالة بعنوان ثمرة الشجرة الإلهية في أصول العقائد مع مقدمات فلسفية.

٢. محمد بن إبراهيم القوامي الشيرازي المعروف بالمولى وصدر المتألهين، الحكيم الإلهي والفيلسوف الرباني الذي أدخل الحكمة الإلهية إلى مرحلة جديدة. كان المولى صدرا تلميذ الشيخ البهائي وميرداماد. وفي شرحه

على أصول الكافي يذكر الشيخ البهائي بشيخي في العلوم النقلية وميرداماد شيخي في العلوم العقلية. توفي في سنة ١٠٥٠هـ في البصرة في طريقه إلى الحج للسفرة السابعة.

٣. شمس‌الدين الجيلاني المعروف بالمولى شمسا

٤. سلطان العلماء الآملي المازندراني المعروف بخليفة السلطان، كان من تلامذة الشيخ البهائي وميرداماد. له هوامش على حاشية الخفري وعلى شرح التجريد للقوشجي. توفي في سنة ١٠٦٤هـ عن عمر يناهز الـ٦٤ عامًا.

تراجم شيوخ الملا عبد الله وبعض معاريف مدرسة شيراز العقلية:

بغية استعراض تراجم شيوخ الملا عبد الله اليزدي نعود إلى الطبقة التاسعة عشرة فرجالها تلامذة السيد صدر الدين الدشتكي والعلامة الدواني:

١. غياث الدين منصور الدشتكي الابن البار للسيد صدر الدين الدشتكي، من أعاظم الحكماء. قيل: فرغ من علوم زمانه في العشرين من عمره، كانت له رئاسة الوزارة على عهد الشاه طهماسب ثم استقال ورجع إلى شيراز وأسّس فيها مدرسة عرفت باسم المدرسة المنصورية، ما تزال ماثلة إلى يومنا هذا. تابع عمل والده في ردّ نظريات العلامة الدواني، وكان أحيانًا يحضر المناظرات الشفوية بين والده والدواني، له عدّة كتب فلسفية من قبيل إثبات الواجب، شرح هياكل النور للسهروردي، حاشية على شرح الإشارات للخواجة، حاشية على الشفاء لابن سينا، المحاكمات بين والده والدواني في حواشيهما على تجريد الاعتقاد. ذكره صدر المتألهين في إلهيات الأسفار بعنوان: «سرابية المقدس المنصور المؤيّد من عالم ملكوت السماء، غياث أعاظم السادات والعلماء».[1] توفي غياث الدين الدشتكي في سنة ٩٤٠ أو ٩٤٨هـ.

٤. جمال الدين محمود الشيرازي، هو الذي شغل كرسي درس جلال الدين بعد وفاته. وفد إليه طلاب

[1]. صدر الدين الشيرازي، محمد، اسفار، ج ٣، ص ١٨.

العلم من الأطراف والأكناف منهم المولى أحمد الأردبيلي المعروف بالمقدّس الأردبيلي، الملا عبد الله الشوشتري، الملا عبد الله اليزدي صاحب الحاشية المعروفة على تهذيب المنطق، الملا ميرزا جان الشيرازي المعروف بالفاضل الباغنوى.[1]

تراجم شيوخ شيوخ طبقة الملا عبد الله

١. سيد الحكماء محمد بن إبراهيم الحسيني الدشتكي الشيرازي، المعروف بصدر الدين الدشتكي والسيد السند. من أعاظم الحكماء ومن أولي النظر منهم. وكانت آراؤه ونظرياته ومعاصره الشهير جلال الدين الدواني حتى عهد السيد ميرداماد موضع دراسة وملاحظة بين الفضلاء والطلاب؛ بل ما زال بعض آرائه وأفكاره موضع نظر بين الفلاسفة المسلمين وبعضها مقبولة حتى بعد أفكار المولى صدر الدين الشيرازي؛ ولد سنة ٨٢٨هـ وتوفي في سنة ٩٠٣هـ. كان قد درس العلوم العقلية لدى قوام الدين الكربالي تلميذ السيد الشريف؛ ورجل آخر يدعوه السيد الفاضل الفارسي.

٢. العلامة جلال الدين محمد بن أسعد الدين الدواني الصديقي، المعروف بالعلامة الدواني والمحقق الدواني. كان صاحب نظر في المنطق والفلسفة والرياضيات. وله آراء وأفكار ما زالت تدرّس في كتب الفلسفة. وهو من تلامذة قوام الدين الكربالي ومحيي الدين گوشكناري و حسن شاه المعروف بالبقال؛ والده أسعد الدين الدواني (وكلّهم من تلامذة السيد الشريف). وقد زعم المرحوم الخونساري في روضات الجنات وكذلك المرحوم المدرّس التبريزي في ريحانة الأدب[2] أنّ العلامة الدواني من تلامذة السيد مير الشريف نفسه بصورة مباشرة، وقد أوضح خطأهم الفاضل المعاصر الشيخ علي الدواني في كتابه النفيس وأثبت أنّ العلامة لم يدرك حياة السيد مير الشريف كان تلميذ تلامذته.

---

[1]. دوانی، علی؛ شرح زندگانی جلال‌الدین دوانی؛ ص ١١٠.

[2]. موسوی خوانساری، میرزا محمد باقر؛ روضات الجنات، ص ۴۷۶. مدرس، میرزا محمد علی؛ ریحانة الادب؛ ج ٣، ص ٢١۴.

كان العلامة الدواني ممّن أحدث ضجة علمية في حياته وبعد موته، وله مشاجرات كثيرة شفوية وتحريرية معروفة مع السيد صدر الدين الدشتكي، وكانت كتبه بعده محط اهتمام الفضلاء ونقض بعضهم وردّ بعضهم الآراء ودفاع الآخرين. فمثلاً نقل صدر الدين الشيرازي في المجلد الثالث من كتابه الأسفار[1] نظرية للعلامة الدواني في ثلاث صفحات ثم ردّها وقال: «واعلم أنّا إنّما تعرّضنا لكلام هذا العلامة النحرير في هذا الموضع بالجرح والتوهين لما أكبّ عليه أكثر الناظرين وتلقوه بالقبول والاستحسان زعمًا منه ومنهم أنّ فيه إثباتًا للتوحيد الخاص». ومن هنا يُعلم مدى نفوذ أفكار الدواني فيمن تأخّر عنه. وكانت مدينة شيراز على عهده مركزًا للعلوم الفلسفية على أثر صيته وشهرته بها، وكان طلاب الفلسفة يتجهون إلى شيراز من خراسان وأذربيجان وكرمان وحتى بغداد والروم وسائر المناطق التركية. ولد العلامة الدواني في سنة ٨٣٠هـ و توفي في ٩٠٣ أو ٩٠٨هـ.

علماء الطبقة السابعة عشرة

معظم رجال هذه الطبقة من تلامذة المحقق الشريف أو الميرسيد الشريف وناشري أفكاره:

١. محيي الدين گوشكاري.

من تلامذة السيد المير شريف الجرجاني وأستاذ المحقق جلال الدين الدواني. ولا معرفة لنا بتاريخ ولادته ووفاته.

٢. الخواجة حسن شاه، المعروف بالبقال.

كان هذا الرجل أيضًا من تلامذة السيد مير الشريف والأستاذ الدواني. وقد نقل الفاضل المعاصر الشيخ علي الدواني في كتابه في حياة جلال الدين الدواني عن كتاب «حبيب السير» أنّ الخواجة حسن شاه ومحيي الدين گوشكاري قاما بالتدريس في شيراز على عهد الميرزا محمد بايسقر.

---

[1]. صدر الدين الشيرازي، محمد، اسفار، صص ١٤ ـ ١٦.

٣. سعد الدين أسعد الدواني، أبو المحقق جلال الدين الدواني.

هو أيضًا من تلامذة المحقق السيد مير الشريف.

٤. قوام الدين الكربالي.

شيخ السيد صدر الدين الدشتكي وجلال الدين الدواني وتلميذ السيد مير الشريف الجرجاني. ولا نعرف في هذه الطبقة أحدًا سوى هؤلاء الذين ذكرناهم. وفي هذا العهد الذي كانت حملة المغول قد بدت آثارها من القتل والنهب في جميع المجالات وزادت في العلة مجازر الأمير تيمور الگوركاني، لا ندري هل كان قد بقيت في غير شيراز حوزة للدراسة أم لا؟!

معاريف الطبقة السادسة عشرة

١. سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، المعروف بالمولى سعد التفتازاني.

أكثر شهرته بالكلام وعلوم البلاغة، إلّا أنّه كان رجلًا جامعًا لم يخل من الاطلاع على العلوم العقلية والفلسفية، ألّف رسالة موجزة في المنطق باسم «تهذيب المنطق» ما زالت تدرّس في الحوزات العلمية، ألّف التفتازاني كتبًا كثيرة، ويذكر بعضهم أنّ التفتازاني أعاد للمعارف الإسلامية بحسن بيانه حياة جديدة بعد ويلات حروب المغول، ولم نقصد بطبقات الفلاسفة أولي النظر في الفلسفة فقط، بل كل من حمل هذا الفن من المعارف الإنسانية وتوسط في انتقاله من قبله إلى من بعده، ولا أقل من ثبوت هذا الشأن، للتفتازاني. ولد التفتازاني في سنة ٧١٢ أو ٧٢٢هـ في قرية قرب بلدة نساء وتوفي في ٧٩١ أو ٧٩٢ أو ٧٩٣ في سرخس، وقيل في سمرقند ودفن في سرخس.[١]

٢. السيد علي بن محمد بن علي الجرجاني، المعروف بالشريف الجرجاني و سيد مير الشريف. ودُعي بحق المحقق الشريف، فهو معروف بدقة نظره وتحقيقه، اشتهر بالأدب والكلام، إلّا أنّه كان جامعًا، كانت له

---

[١]. موسوى خوانسارى، ميرزا محمد باقر، روضات الجنات، ج ١، ص ٣٤٠.

حوزة تدريس للفلسفة، وقد ربّى فيها تلامذة كثيرين، وله في حفظ ونقل العلوم العقلية إلى الأجيال المتعاقبة دور مؤثر، له مؤلفات وآثار كثيرة، إلّا أنّ أكثرها شروح وتعاليق قيّمة، ويقول القاضي نور الله: إنّ علماء الإسلام بعده عيال عليه ومتطفلون، تعاليقه: تعليقة على شرح حكمة العين في الفلسفة، وأخرى على شرح المطالع في المنطق، وأخرى على الشمسية في المنطق أيضًا، وأخرى على المطول للتفتازاني في الفصاحة والبلاغة، وله شرح على كتاب مفتاح العلوم للسكاكي في الفن نفسه، وتعليقة على الكشاف للزمخشري، وهو تفسير يعنى بالجوانب البلاغية للقرآن، وشرح لكتاب المواقف للعضدي في الكلام. ومن كتبه المعروفة: التعريفات، يعرف باسم: تعريفات الجرجاني، ومنها كتابه: الكبرى في المنطق بالفارسية كتبه للمبتدئين، والآخر: صرف مير، بالفارسية في فن الصرف، كان وما يزال كتابًا دراسيًا للطلاب المبتدئين. كان مير سيد الشريف من تلامذة قطب الدين الرازي وهو من أهل جرجان، ونقل صاحب روضات الجنات عن مجالس المؤمنين للمرحوم القاضي نور الله شوشتري: أنّه لما قدم الشاه شجاع بن مظفر إلى جرجان والتقى السيد، نقله معه إلى شيراز، وفوّض إليه التدريس في مدرسة «دار الشفاء» التي كان أسّسها هو بشيراز، ولمّا دخلها الأمير تيمور أخذه معه إلى سمرقند، وهناك التقى التفتازاني، وله معه مناظرات، ولما مات الأمير تيمور رجع المير شريف إلى شيراز فعاش بها حتى مات.

اشتغل السيد الشريف منذ العشرين من عمره بالتدريس والبحث ولا سيما في الفلسفة والحكمة، وكانت له حوزة من الفضلاء حوله، قيل أنّ الحافظ الشيرازي كان ممّن يحضر درسه، فكان السيد الشريف إذا تناشد طلابه الشعر، قال لهم: اشتغلوا بالحكمة والفلسفة عوضًا عن هذه الأباطيل، إلّا أنّه إذا رأى الحافظ قال له: ماذا ألهمت جديدًا؟ أنشدني غزلك، فكان طلابه يعترضون عليه: ما هذا السر؟ تنهانا عن تناشد الشعر وأنت تبدي الرغبة للاستماع إلى شعر الحافظ؟ فكان يقول: إنّ شعر الحافظ أحاديث قدسية ودقائق

قرآنية وإلهامات ربانية.[1] ولد السيد مير الشريف في جرجان عام ٧٤٠هـ وتوفي في شيراز عام ٨١٦هـ.[2]

الطبقة الخامسة عشرة

أستاذ المير سيد الشريف قطب الدين محمد بن أبي جعفر الرازي، المعروف بقطب الدين الرازي. من مشاهير علماء الإسلام، كان حكيمًا منطيقًا وفقيهًا، درس لدى العلامة الحلي وأجازه للحديث، لاقاه الشهيد الأول واستجازه لرواية الحديث ووجده بحراً لا ينضب. اشتهر بالكتب الثلاثة: شرح الشمسية للكاتبي القزويني، والمحاكمات، وشرح مطالع الأنوار. توفي في سنة ٧٦٦ أو ٧٧٦هـ.[3]

نتيجة البحث

وفقًا للمطالب المنقولة عن الشهيد مطهري وآرائه في عظماء مدرسة شيراز العلمية التي اصطبغت بشكل خاص بألوان الكلام والفلسفة والمنطق، يمكن ردّ الشبهات المثارة حول انفعال هذه الحوزة وعدم تأثيرها في تطوّر الحكمة والفلسفة. فمن خلال نظرة في المسار الانحداري للحكمة والفلسفة في العالم الإسلامي بسبب نشاطات الأشاعرة بالإضافة إلى ردیات الغزالي يتبين لنا أنّ الفلاسفة في إيران لم يعيروا أهمية لهذه الرديات،[4] بينما كانت شمس الفلسفة تكسف في الأنحاء الأخرى من العالم الإسلامي. وفي هذه الفترة برزت مدرسة شيراز الفلسفية وتألقت، ممّا يثبت أنّ مسيرة علوم المعقول واصلت حركتها إلى الإمام، ومن بين أبرز رجال مدرسة شيراز الملا عبد الله البهابادي اليزدي، هذا العالم الحكيم والعلامة الفطحل المخلص والمحب، والذي على حدّ تعبير الشهيد مطهري برع في علوم المعقول وكانت له اليد الطولى في الفقه والعلوم الدينية. وقد برز في حوزة أصفهان ومدرسة شيراز الفلسفية ثم هاجر إلى النجف الأشرف ليحمل شعلة الحكمة والفلسفة والمنطق إليها

---

١. مقدمه انجوى بر ديوان حافظ، نقل از حافظ شيرين سخن تأليف المرحوم الدكتور محمد معين.

٢. موسوى خوانسارى، ميرزا محمد باقر؛ روضات الجنات، ص ٤٧٦.

٣. مدرس، ميرزا محمد على؛ ريحانة الادب؛ ج ٤، صص ٤٦٥ ـ ٤٦٧.

٤. أنظر: هنرى كوربان؛ تاريخ فلسفه اسلامى؛ ترجمة: جواد طباطبائى.

ويزيدها وهجًا وسطوعًا، وينفخ روحًا جديدة في العلوم الحكمية والفلسفية في العراق.

المصادر:

٥٠. مجموعة من الباحثين، نامه دانشوران ناصرى، طهران: منشورات رخداد، بلا تاريخ.

٥١. الدواني، علي، شرح زندگانى جلال الدين دوانى، مطبعة حكمت، قم: ١٣٣٤هـ.

٥٢. مدرس، ميرزا محمد على، ريحانة الادب، ج ١، منشورات خيام، ط. الثالثة، ١٣٦٩ش.

٥٣. مطهري، مرتضى، خدمات متقابل ايران و اسلام، منشورات صدرا، بلا تاريخ.

٥٤. ـــــــــ ، آشنايى با علوم اسلامى(منطق و فلسفه)، منشورات صدرا، بلا تاريخ.

٥٥. الملا صدر الدين، محمد، اسفار اربعه، منشورات بنياد حكمت اسلامى صدرا، بلا تاريخ.

٥٦. موسوى خوانسارى، ميرزا محمد باقر، روضات الجنات، بيروت: مؤسسة الوفاء، ١٤٠٣ هـ.

٥٧. هنرى كوربان، تاريخ فلسفه اسلامى، ترجمة: جواد طباطبائى، كوير، ط. ٦، طهران: ١٣٨٦ش.

المنهج التفسيري للملا عبد الله البهابادي اليزدي
"تفسير درة المعاني في تفسير السورة والفاتحة نموذجًا"

إبراهيم حسن پور*
أصغر ميرزاپور**
ترجمة: حسين صافي

ملخص:

الملا نجم الدين عبد الله بن شهاب الدين حسين البهابادي اليزدي (م ٩٨١هـ)، من جهابذة الفقهاء والحكماء ثاقبي النظر، تموج مصنّفاته بالتفقّه والتعقّل. برع في ميادين عديدة فقهية وكلامية وفلسفية وأدبية ومنطقية وتفسيرية، وخلّف أعمالًا نفيسة وراقية، منها، بحسب المصادر المتاحة، ثلاثة تفاسير هي: «التجارة الرابحة فى تفسير السورة و الفاتحة»، «حاشية على أنوار التنزيل» و «درّة المعاني في تفسير سورة الإخلاص و السبع المثاني». نحاول في هذه الورقة تحليل المنهج التفسيري للملا عبد الله البهابادي اليزدي من خلال التركيز على كتاب درة المعاني في تفسير السورة و الفاتحة. انتهج الملا عبد الله في تفسيره لسورتي الحمد والإخلاص المباركتين أسلوبًا عقليًا اجتهاديًا مستندًا إلى العديد من المصادر. ومن السمات المميّزة لنهجه التفسيري توظيف الأسلوب الأدبي - العقلي، والرجوع إلى الأحاديث وصولًا لفهم صائب، وكذلك اهتمامه الوافر بالمباحث الأدبية واللغوية، واهتمامه بمبحث القراءات، والاستعانة بشأن نزول الآيات، وبيان دقائق الآيات، ودقته العالية في توضيح الموضوعات.

الكلمات المفتاحية: التفسير، درة المعاني، سورة الحمد، سورة التوحيد، الملا عبد الله.

مقدمة

---

* محقق وخريج الحوزة العلمية بقم.
* باحث ومحقق حوزوي.

جرت منذ القدم وما تزال محاولات واسعة وحثيثة لتفسير القرآن الكريم، وقد أدلى العلماء والمفسرون بدلوهم كلٌّ حسب طاقته، فصنّفوا الكثير من التفاسير التي تناولت الموضوعات الأدبية، واختلاف القراءات، وشأن نزول الآيات، وتوضيح الآيات، وشرح آيات الأحكام، علاوة على المباحث الأخلاقية والكلامية والعرفانية والحكمية والاجتماعية والسياسية. وسعى كل مفسّر وفقًا لقراءته للتفسير، واستنادًا إلى خلفيته العلمية وتخصصاته أن يميط اللثام عن أسرار هذا الكتاب السماوي. وكان العالم الجليل والفقيه المنطيق والمفسر والأديب متعدد الفنون المرحوم العلامة الملا عبد الله البهابادي اليزدي الشهير بصاحب الحاشية [١٩٨١هـ] في طليعة علماء القرن العاشر الذين دخلوا حقل تفسير القرآن فصنّف بضعة تصانيف في تفسير القرآن. ولكن ما هي أهم تصانيفه التفسيرية؟ وما هي المصادر الروائية والتفسيرية واللغوية التي اعتمدها؟ وما أهم السمات والخصائص التي تميّز النهج التفسيري للملا عبد الله؟ هذه أهم الأسئلة المطروحة والتي سنحاول الإجابة عنها في هذه الورقة.

١. شرح المفهوم

١-١. التفسير

التفسير في اللغة من «فسر»، ويعني التوضيح والبيان والشرح.[١] يقول الراغب الأصفهاني في مفردات ألفاظ القرآن الكريم: الفســـر: إظهار المعنى المعقول.[٢] وللتفسير في اصطلاح المفسرين والمختصّين في العلوم القرآنية تعاريف عديدة، فكلٌّ يطرح تعريفًا حسب مقاربته التفسيرية، ولكن نعني بالتفسير في هذا البحث هو: «الكشف وإماطة اللثام عن غموض الكلمات والعبارات القرآنية، وشرح مقاصدها وأهدافها».[٣]

١-٢. المنهج أو الأسلوب

معنى الأسلوب في المصادر اللغوية هو الطريق، الطراز، الطريقة، السبك، وبالإنجليزية (Method) والمقصود منه مجموع الأمور التي تساعد الإنسان على تحقيق هدفه، وإنجازه للعمل المنشود بصورة منتظمة ومنهجية. ويطلق على الأسلوب كلمة (Proceed) أيضًا وهو أخصّ من الأسلوب بالمعنى الإصطلاحي، والتمسك به يضع أمام الإنسان أسلوب معيّن ومحدّد. كما يطلق "الأسلوب" على التقنية (Technique) والأداة والوسيلة التي تساعد على إنجاز أسلوب تعليمي أو أيّ عمل آخر.[٤]

على أيّ حال، فالأسلوب عبارة عن مفهوم استراتيجي يرسم تفصيل العمل ومراحل اجتيازه للوصول إلى

---

١. آذرتاش آذرنوش، فرهنگ معاصر عربی ـ فارسی، ص ١٨.
٢. الراغب الأصفهانی، مفردات الفاظ القرآن الكريم، ص ٦٣٦.
٣. رضائي أصفهانی، محمد علی، تفسير قرآن مهر، ج ١، ص ٢٦.
٤. أنظر: رفيعی، بهروز، آراء دانشمندان مسلمان در تعليم و تربيت و مبانی آن، ح ٣، ص ٢٦٧.

الهدف أو الأهداف المنشودة. أما مقصودنا من الأسلوب في هذه الورقة فهو نمط من السلوك والعمل المنظم الهادف الذي يتبعه المفسر التربوي للقرآن الكريم في عملية التفسير، وعلى أساسه ينتظم نشاطه التفسيري للكشف عن المقاصد الحقيقية لآيات القرآن في باب التربية والتعليم.

٢. الجهود التفسيرية للعلامة الملا عبد الله البهابادي اليزدي

طبقًا للوثائق التاريخية، بدأ النزوع نحو العلوم الدينية في العصر الصفوي، وخاصة تفسير القرآن بوصفه حجر الزاوية في بنيان الفكر عند المسلمين، يأخذ منحى متزايدًا. وبشكل عام يمكن القول أنّه قبل رواج المدرسة الأخبارية كانت الرؤية الفقهية هي الغالبة على تفاسير ذلك العصر، لتتحول لاحقًا إلى رؤية نقلية – روائية بسبب شيوع النهج الأخباري. وكيف كان، فالمناخ الاجتماعي – الثقافي في العصر الصفوي ساعد على ازدهار العلوم وظهور العلماء في مختلف ميادين العلم والمعرفة، ويعضد هذا القول وفرة التصانيف التي صدرت خلال هذه الفترة في حقول التفسير والحديث والفلسفة وغيرها

كان العلامة الملا عبد الله البهابادي اليزدي من خيرة العلماء الذين أنجبهم القرن العاشر في نصفه الثاني، وقد أتحف المحافل العلمية آنذاك بثلاثة تفاسير قيّمة ومهمة هي:

١. التجارة الرابحة في تفسير السورة و الفاتحة؛
٢. حاشية على تفسير أنوار التنزيل؛
٣. درّة المعاني في تفسير سورة الإخلاص و السبع المثاني.

٢-١. التجارة الرابحة في تفسير السورة و الفاتحة

التجارة الرابحة في تفسير السورة و الفاتحة أشهر مصنّف للملا عبد الله في علم التفسير. وهو يتناول سورتي الحمد وسورة التوحيد حيث يستهلّه بشرحه للألفيّة.[١]

٢-٢. حاشية على تفسير أنوار التنزيل

البيضاوي الشيرازي عالم شهير من علماء أهل السنّة، له تفسير عنوانه أنوار التنزيل ضمّنه آراء كثيرة غير صحيحة ومغلوطة. وقد كتب العديد من علماء الشيعة حواش على هذا التفسير في نقد وردّ تلك الآراء المغلوطة، من بين هؤلاء الملا عبد الله اليزدي الذي كتب حاشية على التفسير المذكور، وصلتنا مخطوطتها،

[١]. آغا بزرك طهراني؛ الذريعه؛ ج ٣، ص ٣٤٨. العدد ١٢٥٦.

على العكس من كتاب التجارة الرابحة الذي ليس له أثر.[1]

٢-٣. *درّة المعانى في تفسير سورة الإخلاص و السبع المثاني*

هذا التفسير ملخص لكتاب مفصّل ومبسوط لنفس المؤلف هو التجارة الرابحة فى تفسير السورة و الفاتحة وقد كتبه بطلب من شخص اسمه السيد عبد المطّلب. بحسب رأي كاتب مقالة «الجهود التفسيرية للملا عبد الله» أنّ ذلك الشخص كان، على ما يبدو، ذا منصب حكومي وفي دائرة الوالي، أو ربما كان أحد الأمراء الصفويين فطلب من الملا عبد الله أن يصنّف هذا الكتاب. يمكن طرح احتمال ثالث أكثر رجحانًا وهو أنّ الشخص المعني هو السيد عبد المطلب المشعشعي أحد حكام خوزستان الذي كانت له رحلة إلى الديار المقدسة في الحرمين ثمّ عرّج بعد ذلك على العتبات المقدسة في العراق، وزار النجف الأشرف في سنة ٩٧٢هـ، وكانت له زيارات ولقاءات مع الملا عبد الله البهابادي سادن العتبة العلوية المقدسة آنذاك أو، قل إن شئت، حاكم النجف الأشرف، فطلب من المرحوم اليزدي وكان عالمًا مبرّزًا في ذلك الوقت أن يصنّف تفسيرًا لسورتي الحمد والتوحيد (الإخلاص).

٣. أهمية المنهج في تفسير آيات القرآن

منهج تفسير القرآن الكريم هو أحد المباحث الرئيسية التي كانت محطّ اهتمام كبار المفسرين. والمقصود من المنهج التفسيري الأسلوب الذي يلجأ إليه المفسرون لفهم مقاصد الله تعالى من آيات القرآن الكريم. وفي هذا السياق هناك من يعتقد أن فهم مقاصد الله تعالى القرآن ليس له نهج أو أسلوب محدّد، فهو أمر ذوقي يتبع مشارب الأفراد، وأنّ كلّ مفسّر يختار أو يبتدع أسلوبه الخاص في التفسير الذي ينسجم مع مشربه وذوقه ومهارته. باعتقاد كاتب السطور إنّ القرآن الكريم ليس فقط له أسلوبه ومنهجه الخاص في التفسير وإنّما هذا الأسلوب والمنهج أكثر دقة وتحديدًا بالمقارنة مع سائر النصوص والمصادر الأخرى، وأنّه يمكن اتباع هذا المنهج دونما انحراف أو سقطة.

على هذا الأساس، فإنّ المراد بالمنهجية هنا هو الكشف عن الأسلوب وتنظيمه وتدقيقه وليس ابتداعه وخلقه.[2] من ناحية أخرى، وحيث أنّ الغرض من نزول القرآن الكريم هو هداية البشر، فلغته لغة مفهومة تقوم على أسلوب التحاور والتخاطب العقلائي المتداول بين الناس. فإذا كان القرآن قد نزل بلغة الناس، فلا بدّ إذًا أن يعتمد الأسلوب التفسيري الأصول العقلائية في المحاورة، أما إذا كان هناك من يعتقد أنّ للقرآن لغة خاصة، فعليه أن يبيّن لنا، أولًا، ما هي هذه اللغة، وثانيًا، ما هو الأسلوب الأنسب للتعاطي مع هذه

---

[1]. المصدر نفسه، ج ٤، ص ٢٧٨ و ج ٦، صص ٤١ و٤٢.

[2]. الطباطبائي، السيد محمد حسين، الميزان فى تفسير القرآن، ص ٣٦.

اللغة؟

نحن نعتقد أنّ للقرآن ظاهراً وباطناً. ظاهر القرآن هو لغة الناس، وينبغي فهمها طبقًا للأسلوب العادي والمتداول لهذه اللغة، بينما باطن القرآن ذو لغة خاصة به لا يفقهها غير المعصومين (النبي والأئمة). لذا على المفسرين الرجوع إلى النبي الأكرم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وأئمة الهدى (عليهم السلام) إن كانوا يريدون بلوغ باطن القرآن الكريم، فهم أعرف بلغة القرآن الباطنة، ولا يتيسّر الكشف عن حقائق باطن القرآن إلّا بالرجوع إلى الأحاديث والروايات.

من هنا نقول أنّ فهم القرآن الكريم وتفسيره يتطلّب استخدام نفس الأسلوب الذي يستخدمه العقلاء لفهم النصوص، وهو فهم معنى ألفاظ عبارات النص للوصول إلى فهم النص نفسه، إذ إنّهم بدايةً يوضّحون معاني الألفاظ كخطوة أولى لكشف مقاصد المتكلم. فكل لغة تتواطأ أو تتعاقد على وضع ألفاظ محددة للمعاني، وطبقًا لهذا التواطؤ أو التعاقد تتشكّل المعاني الحقيقية للألفاظ.

۴. خصائص المنهج التفسيري للملا عبد الله البهابادي

استطاع الملا عبد الله بفضل شموليته وجامعيته أن يبتدع أسلوبًا خاصًا في التدوين والكتابة. وفي حقل التفسير إليك أهم الخصائص التي امتاز بها منهجه التفسيري:

۴-۱. تركيزه على منهج تفسير القرآن بالقرآن

منهج تفسير القرآن بالقرآن يعني أن يفسّر المفسّر آيات القرآن الكريم ويوضّح مقاصدها بالاستعانة بآيات أخرى،[1] وهو أحد أقدم المناهج في تفسير القرآن. وكان هذا المنهج محطّ اهتمام وتركيز العلامة الملا عبد الله البهابادي.

۴-۲. اهتمامه بالتفسير بالمأثور والاستعانة بروايات المعصومين (عليهم السلام)

لا شكّ في أنّ مكانة المعصومين (عليهم السلام) ودورهم في نشر الثقافة والمعارف القرآنية وبالأخص تفسير القرآن الكريم، دور أساسي ومفتاحي. ولهذا، كانت الاستعانة بكلام المعصومين (عليهم السلام) من أهم الخصائص التي ميّزت المنهج التفسيري للملا عبد الله البهابادي اليزدي. نستعرض فيما يلي بعض الأمثلة المقتبسة من تفسير درة المعاني.

نلاحظ في مواضع عديدة أنّ البهابادي يستشهد بروايات الأئمة المعصومين (عليهم السلام) لتمييز القراءة الأصوب عند نقله لعناوين القراءات. مثل القراءة الصحيحة للاستعاذة والآية الشريفة «صراط الذين

---

[1]. عميد زنجانی، عباس علی؛ مبانی و روش‌های تفسیر قرآن؛ ص ۱۲۸.

أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين».[1]

وفي تفسير سورة الأخلاص يطرح مبحثًا بعنوان حقيقة التوحيد ويستشهد بروايتين عن الأئمة (عليهم السلام).

۴-۳. اهتمامه بالقراءات

خصيصة أخرى يمتاز بها منهج الملا عبد الله في التفسير ألا وهي اهتمامه بالقراءات والتي تظهر بوضوح في درّة المعاني. على سبيل المثال، يوضّح في ذيل عبارة «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» أنّ قراءة ابن الأثير وعاصم وأبي عمر هي «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» أمّا قراءة نافع وابن عامر والكسائي فهي «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إنّ الله هو السميع العليم» بينما قراءة حمزة «نستعيذ بالله من الشيطان الرجيم»، وقراءة أبي حاتم «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم». وبعد أن يستعرض القراءات المختلفة يصوّب قراءة ابن الأثير وعاصم وأبي عمر استنادًا إلى رواية ابن مسعود عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم).[2]

وقد ذكر بعد الآيات الكريمة «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»،[3] «مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ»،[4] «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ»،[5] «اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ»،[6] «صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ»[7] الملاحظات المتعلقة بالقراءات.

۴-۴. الاستعانة بروايات أسباب النزول

مثال على ذلك، يستعين بحديث لتبيين شأن نزول سورة الإخلاص المباركة وهو أحد الأمثلة لرجوع الملا عبد الله إلى روايات المعصومين (عليهم السلام) في شأن النزول، والرواية منقولة عن عطاء عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، حيث يوضّح بأنّ هذه السورة نزلت جوابًا على سؤال لأحد يهود نجران من الرسول الأكرم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) عن التوحيد.

۴-۵. تركيزه على المباحث الأدبية - البلاغية

في الحقيقة إنّ تفسير درة المعانى يزخر في كل موضع منه بمباحث أدبية وبلاغية غاية في الدقة، حتى أنّه ليغلب الجانب الأدبي على معظم مباحث التفسير المذكور، ولذلك صنّفوا تفسيره في عداد التفاسير الأدبية الاجتهادية (نوعما).

---

۱. البهابادى، الملا عبد الله؛ درة المعانى، ص ۲۴.
۲. المصدر نفسه، ص ۱۱.
۳. المصدر نفسه، ص ۱۲.
۴. المصدر نفسه، ص ۱۸.
۵. المصدر نفسه، ص ۲۰.
۶. المصدر نفسه، ص ۲۲.
۷. المصدر نفسه، ص ۲۳.

وخلال تفسيره للآيات تطالعنا أمثلة عديدة عن مباحث نحوية. نذكر على سبيل المثال: يبيّن في ذيل تفسيره للآية «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ»[1] أنّ تقدّم المفعول على الفاعل هو من باب التخصيص. فطبقًا لقواعد اللغة العربية، يأتي المفعول به بعد الفعل والفاعل، أما إذا ورد خلاف هذه القاعدة فذلك من باب استخدام قاعدة الاختصاص والتي تفيد الحصر. وحيث أنّ الله تعالى أراد معنى الحصر في الآية الكريمة «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» فإنّه عزّ وجلّ بيّن مقصوده من خلال تقديم المفعول على الفعل والفاعل. وفي ذيل نفس الآية، يلفت الملا عبد الله الانتباه إلى قاعدة الالتفات، وهي من أهم القواعد البلاغية، مذكرًا بتغيّر خطاب السورة في الآية.[2]

بالإضافة إلى ذلك، فإنّه في تبيينه لمعاني الألفاظ يستعين بمعاجم اللغة العربية القديمة والشعر الجاهلي لاستخراج معاني الكلمات المفتاحية والرئيسية في كل رواية. كما يعتني في تحليله بالهيكل البياني للرواية أيضًا.

٥. المصادر التفسيرية لـ درة المعاني

٥-١. تفسير الكشاف

للملا عبد الله البهابادي عناية خاصة بالزمخشري [م ٥٣٨هـ] بوصفه أحد المفسّرين البحاثة لأهل السنّة. ففي مواضع كثيرة يستند إلى تفسير الكشاف للزمخشري، مثلًا، في بيانه لكيفية قراءة الاستعاذة «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»، يرجع إلى حديث مذكور في الكشاف لينتصر للرأي الصحيح، حيث ينقل ابن مسعود عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قوله أنّ القراءة الصحيحة للاستعاذة في بداية القرآن الكريم هي «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم». كما يستند إلى نفس المصدر، الكشاف، في تبيين القراءة الصحيحة للآية الكريمة «مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ»،[3] حيث ينزل عند رأي الزمخشري في هذا الموضوع. وكذلك يستشهد برأي الزمخشري في الكشاف في وجه تسمية سورة الإخلاص المباركة.[4]

٥-٢. تفسير مجمع البيان

يثني العلامة الملا عبد الله البهابادي، على أبي علي الطبرسي [م ٥٤٨هـ] كأحد مشاهير مفسّري الإمامية، وتطالعنا أمثلة عديدة في تفسير درة المعاني على رجوع الملا عبد الله إلى تفسير مجمع البيان للطبرسي. مثلًا،

---

١. المصدر نفسه، ص ٢٠.

٢. المصدر نفسه.

٣. المصدر نفسه، ص ١٨.

٤. المصدر نفسه، ص ٢٧.

في تفسيره للآيات الشريفة «بسم الله الرحمن ارحيم»،[1] «الحمد لله رب العالمين»،[2] «الرحمن الرحيم»،[3]«مالك يوم الدين»،[4] «إيّاك نعبد و إيّاك نستعين»،[5] «اهدنا الصراط المستقيم»،[6] «صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ»[7] يقتبس كثيراً من تفسير مجمع البيان بحيث أنّ كثرة استشهاده به تدلّ على أهمية هذا التفسير ومكانته.

۵-۳. تفسير العياشي

من بين المصادر التفسيرية الأخرى التي يقتبس منها الملا عبد الله في درّة المعاني تفسير العياشي. إذ كان له اقتباس يتيم في تفسير البسملة «بسم الله الرحمن ارحيم».

۵-۴. تفسير أنوار التنزيل (البيضاوي)

تفسير أنوار التنزيل أشهر مصنّفات البيضاوي إلّا أنّه يتضمّن مغالطات وآراء غير صحيحة، لذلك كُتبت عليه حواشٍ ونقود كثيرة، من بينها حاشية المرحوم الملا عبد الله البهابادي بعنوان شواهد التنزيل. لم يستشهد الملا عبد الله بتفسير أنوار التنزيل سوى في تفسيره لعبارة الاستعاذة «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم».[8]

۶. مصادر اللغة والنحو والأدب

۶-۱. لسان العرب

نلاحظ في تفسير درّة المعاني إحالات كثيرة للملا عبد الله على قاموس لسان العرب لابن منظور. على سبيل المثال لا الحصر، في تفسير لفظ الجلالة «الله» والآية الشريفة «مالك يوم الدين».[9]

۶-۲. الكتاب

أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه (۱۴۰ه / ۷۶۰م – ۱۸۰ه /۷۹۶م) الشهير بـ سيبويه الشيرازي، أصله من بلاد فارس، أحد علماء اللغة والنحو والصرف وإمام المدرسة البصرية في النحو، قبره في مدينة شيراز. يحيل المرحوم الملا عبد الله في تفسيره للآية الكريمة «و لم يكن كفواً احد» على مصنّف

---

۱. المصدر نفسه، ص ۱۱.
۲. المصدر نفسه، ص ۱۴.
۳ المصدر نفسه، ص ۱۵.
۴. المصدر نفسه، ص ۱۷.
۵. المصدر نفسه، ص ۲۰.
۶. المصدر نفسه، ص ۲۲.
۷. المصدر نفسه، ص ۲۳.
۸. المصدر نفسه، ص ۱۱.
۹. المصدر نفسه، ص ۱۸.

الكتاب لسيبويه.

نتيجة البحث

بصورة عامة، يمكن تصنيف تفسير درة المعاني للمرحوم الملا عبد الله البهابادي ضمن التفاسير الأدبية الاجتهادية، الذي بحسب رأيه أنّ ظاهر آيات القرآن مخصّص لأهل هذه اللغة، فهم يفهمون مقاصده ومرادهـ. كما يعتقد أنّ المعنى الظاهري لآيات القرآن يتمّ عبر العلوم الأدبية وأسباب النزول والعام والخاص والناسخ والمنسوخ وغير ذلك، وجُلّ ذلك اعتمده المرحوم الملا عبد الله في تفسيره درّ المعاني. من ناحية ثانية، وكما ذكرنا، فإنّ للقرآن الكريم باطنًا، لا يسبر أغواره إلّا من طهّر نفسه من أدران الغرور وهذّبها بالمراقبة والطاعات والرياضة. والجمع بين المعنى الظاهري والباطني بحسب الملا عبد الله هو طريق أهل الكمال.

المصادر:

* القرآن الكريم

٥٨. آذرتاش آذرنوش، فرهنگ معاصر عربی ـ فارسی، نشر نی، طهران، ١٣٨١.

٥٩. دهخدا، علی أكبر (و محمد معين و جعفر شهيدی)، لغت‌نامه، منشورات جامعة طهران ومؤسسة لغت‌نامه دهخدا، طهران، ١٣٣٧ ـ ١٣٥٢ ش.

٦٠. الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، تحقيق: عدنان داوودی، طليعه نور، قم، ١٤٢٨هـ.

٦١. رضائي أصفهاني، محمد علی، تفسير قرآن مهر، پژوهش‌های تفسير و علوم قرآن، قم، ١٣٨٧.

٦٢. رفيعی، بهروز، آراء دانشمندان مسلمان در تعليم و تربيت و مبانی آن، سمت، طهران، ١٣٨١.

٦٣. الطباطبائي، السيد محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، قم: مكتب النشر الإسلامي لجماعة المدرسين بالحوزة العلمية بقم، ١٤١٧هـ.

٦٤. عميد زنجانی، عباس علی، مبانی و روش‌های تفسير قرآن، طهران: وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامی، مؤسسة الطبع والنشر، ١٣٧٩.

۶۵. ناطقی، علی اوسط؛ رسائل فی تفسیر سورة الفاتحه؛ المجلد الاول؛ مرکز العلوم والثقافة الإسلامیة؛ ۱۴۲۷هـ.

موقع القضية الطبيعية من منظار الملا عبد الله اليزدي

بقلم: محمد حسين ايراندوست*

ترجمة: حسين صافي

ملخص

من المعروف أنّ «القضية الطبيعية» هي إحدى الأقسام الأربعة للقضية الحملية باعتبار الموضوع. صدور الحكم في القضية الطبيعية هو على وجه لا يصح تقدير رجوع الحكم إلى الأفراد. يطلق المناطقة على هذه القضية مصطلح القضية الطبيعية؛ لأنّ الحكم فيها على نفس الطبيعة من حيث الكلية. طُرحت ثلاثة آراء عن «القضية الطبيعية». نتناول في هذا المقال الرأيين الأوليين وعنوانهما «القضية المهملة» و«القضية الشخصية» تحت عنوان «التحويل»، والرأي الثالث الذي يقول باعتبار مستقل للقضية الطبيعية ويجعلها قسيم الشخصية والمهملة يطلق عليه «عدم التحويل».

يشرح المقال الرأيين المذكورين: التحويل وعدم التحويل، ثم يتناول موقع القضية الطبيعية من منظار الملا عبد الله اليزدي الفيلسوف والمنطيق صاحب الحاشية على تهذيب المنطق (م ٩٨١هـ)، ثم يجيب عن السؤالين: ما هو معيار تقسيم القضايا الحملية: هل هو التقسيم الرباعي للمتأخرين، أو التقسيم الثلاثي للمتقدمين؟ ما هو الوجه المشترك للمقسم وكذلك مقسم القضية الطبيعية؟

الكلمات المفتاحية: القضية الطبيعية، القضية الحملية، الحاشية، الملا عبد الله.

عرض المشكلة

لم يعد البحث في القضايا الطبيعية للمنطق في وقتنا الحاضر مسألة ذات أهمية في العلوم العقلية، واقتصر تداول هذه القضايا في نطاق المسائل المقررة في المناهج الدراسية لعلم المنطق، لكنّه في الماضي كان من بين المسائل المهمة بالغة التعقيد. في الفترة التي سبقت الفيلسوف الشهير ابن سينا كانت القضايا الحملية تنقسم إلى قسمين: مهملة ومحصورة، ومعيار هذا التقسيم كان كمّ الأفراد موضوع القضية. ثم طُرح التقسيم الثلاثي (القضايا

* أستاذ مساعد في الجامعة الإسلامية الحرة بقم.

الشخصية والمهملة والمحصورة). وهو التقسيم الذي اعتمده ابن‌سينا، في الغالب، في مصنّفاته. وكان يصنّف القضايا الطبيعية ضمن القضايا المهملة. يبدو أنّ القضايا الطبيعية كانت سائدة ومطروحة في عصر ابن سينا، بيد أنّ تحوّل القضية الحملية من التقسيم المثلث إلى المربع (الشخصية والطبيعية والمهملة والمحصورة) حدث في أواسط القرن السابع، ومنذ ذلك الوقت جرى تثبيت هذه الأقسام الأربعة.

دوّن عبد الله بن شهاب الدين اليزدي (م ۹۸۱هـ)، حاشيته على كتاب «تهذيب المنطق و الكلام» لسعد الدين التفتازاني، وهو في عين إيجازه واختصاره كان يعدّ من النصوص المعتبرة في النظام التعليمي القديم في الحوزات العلمية، وقد دوّنت عليه شروح وحواشي كثيرة.[1] وكان كتاب حاشية الملا عبد الله اليزدي من المناهج الدراسية المهمة وبشكل خاص في الحوزات العلمية في إيران وشبه القارة الهندية.[2]

يسعى المقال إلى شرح موقع القضية الطبيعية من منظار الملا عبد الله اليزدي، في الفصل الأول يتناول المسار التاريخي للقضية الطبيعية في المصادر المنطقية، ثم يشرح بالبحث والتحليل نظريتي التحويل وعدم التحويل للقضية الطبيعية من وجهة نظر الملا عبد الله اليزدي.

المسار التاريخي للقضية الطبيعية

يعود تاريخ القضايا الحملية وتقسيماتها إلى أرسطو عندما قسّمها إلى مهملة ومحصورة.[3] ولا ذكر للقضايا الطبيعية في هذا التقسيم. طبعًا نجد في مصنّفات ابن سينا بعض القضايا الحملية من قبيل «الإنسانُ نوعٌ» لكنّه يصنّفها في خانة القضايا المهملة إلى جانب «الانسانُ ضاحكٌ». في النهج الثالث من الإشارات يعقد فصلًا مستقلًا تحت عنوان القضايا الشخصية والمهملة والمحصورة، ولا شيء عن القضايا الطبيعية، عدا ذكره لتلك الأقسام

---

۱. بجنوردی وآخرون، دائرة المعارف بزرگ اسلامی، ج ۱۵، ص ۶۷۰.

۲. المصدر نفسه.

۳. ارسطو، المنطق، ص ۱۳۹.

الثلاثة التقليدية[1] وعلى نهجه سار شرّاح كتبه. أعني، حتى رجال من أمثال الخواجه نصير الدين الطوسي والفخر الرازي اعتبروا القضية الطبيعية قضية مهملة وليست قضية مستقلة. ففي شرحه للنهج الثالث يتبع الخواجه الطوسي خطى المؤلف في تقسيمه الثلاثي التقليدي، ويصرّح بوضوح أنّ ما يعتقده المتأخرون في القضية الطبيعية إنّما هي قضية مهملة، ويضيف إنّ موضوع القضية المهملة طبيعة شيء من حيث هي. بحسب اعتقاد الخواجة إنّ طبيعة الشيء لا كلية ولا جزئية ولا عامة ولا خاصة ولا كثيرة ولا واحدة. لذا ينبغي إضافة لاحقة أو قرينة إلى طبيعة موضوع القضية لتصل إلى إحدى حالات التخصيص. والحال، إذا كانت طبيعة الشيء من حيث هي موضوعًا فستكون القضية «مهملة».[2]

قبل الخواجه الطوسي، صرّح عمر بن سهلان الساوي (م ٥٤٠هـ) أيضًا بأنّ هذه القضايا مهملة. فقد خصّص عنوان الفصل الثالث من المقالة الثالثة من كتابه المنطق لأقسام القضايا الحملية الثلاثة، معتبرًا القضايا الطبيعية، دون ذكر الاسم، قضايا مهملة.[3]

وقطب الدين الرازي (م ٧٦٦هـ) في «المحاكمات» على شرح الخواجة الطوسي يؤيّده في اعتقاده أنّ القضية الطبيعية هي نفسها القضية المهملة، ويذكر التقسيم الثلاثي التقليدي للقضايا الحملية وأنّ المقسم هو طبيعة الشيء،[4] لكنّه في «شرح المطالع» بعد أن يطرح آراء المناطقة، يوجّه نقده إلى الرأي القائل بأنّ الطبيعية هي المهملة، ليقول في نهاية المطاف بالتقسيم المربع بدلًا من التقسيم الثلاثي التقليدي: «و الأولى ان يربّع القسمة و يقال موضوع القضيّة إن كان جزئيًا حقيقيًّا فهي المخصوصة و إن كان كليًّا، فالحكم إن كان على ما صدق عليه فهي المحصورة أو المهملة و إلّا يكون الحكم على نفس طبيعة الكلي».[5]

---

١. ابن سينا، حسين بن عبد الله،؛ الاشارات و التنبيهات، ص ١٥.

٢. الطوسى، الخواجه نصير الدين؛ اساس‌الاقتباس، ج ١، ص ١٢٠.

٣. الساوى، عمربن سهلان؛ البصائر النصيريه، ص ١٧٣.

٤. الطوسى، الخواجه نصير الدين؛ اساس الاقتباس، ج ١، ص ١١٩.

٥. الرازى، قطب الدين؛ اللوامع الاسرار فى شرح مطالع الانوار، ص ١٢١.

وبناءً على هذا، نلاحظ بأنّ القضية الطبيعية لم تستقلّ بوضعها حتى أواخر القرن السادس الهجري، وكانت، في الأغلب، في فهرس القضايا المهملة، ونادرًا ما كانت تُحسب على القضايا الشخصية، ويبدو أنّه بدأ طرح القضية الطبيعية كمسألة منطقية منذ القرن السابع الهجري، فقبل ذلك كانت القضايا من قبيل «الانسانُ نوعٌ » و «الحيوانُ جنسٌ » مهملة في الغالب.

نظريتا تحويل وعدم تحويل القضية الطبيعية

لا تعطي نظرية التحويل القضية الطبيعية موقعًا مستقلًا، بل تحيلها على إحدى القضايا المهملة أو الشخصية، لأنّهم لم يقفوا على أهمية هذه القضية ووجودها، أو لم يعتقدوا بأنّ القضية الطبيعية معتبرة ومفيدة، أو ربما لم يجدوا فرقًا بين الطبيعية والمهملة. ابتداءً من عصر ابن سينا فما بعد بدأنا نشهد ظهور عبارات في كتب المنطق تحمل دلالة تحويل الطبيعية على المهملة. طبعًا، رأي ابن سينا ينسجم تمامًا مع تحويل الطبيعية، لكنّه في بعض أقواله يعبّر عن الطبيعية نفسها بالمهملة وفي أقوال أخرى يحيل عبارات الطبيعية على الشخصية. ففي الإشارة الرابعة من النهج الثالث من كتاب الإشارات يعقد فصلًا مستقلًا بعنوان «إشارة إلى حكم المهمل»، يوضّح فيه أنّ موضوع القضية المهملة طبيعة الشيء: «إنّ المهمل ليس يوجب التعميم لأنه إنما يذكر فيه طبيعة».[1] يعتقد ابن سينا أنّ طبيعة الشيء ليست عامة ولا خاصة، وليست كلية ولا جزئية، لكن لها صلاحية أن تُلحظ في موضوع القضية بصورة كلية أو جزئية، عامة أو خاصة. أمّا في المهملة فقد لوحظت طبيعة الشيء بصورة بسيطة ومن حيث هي دون قرينة أو لواحق. لذا، فلا كلية ولا جزئية. يقول ابن سينا: «اعلم أنّ المهمل ليس يوجب التعميم، لأنّه إما أن تذكر فيه طبيعة تصلح أن تؤخذ كلية، وتصلح أن تؤخذ جزئية، فأخذها الساذج بلا قرينة كلية، وتصلح أن تؤخذ جزئية، فأخذها الساذج بلا قرينة، مما لا يوجب أن يجعلها كلية. ولو كان ذلك يقضي عليها بالكلية والعموم، لكانت طبيعة الإنسان تقتضي أن تكون عامة فما

[1]. ابن سينا، حسين بن عبد الله، الاشارات و التنبيهات، ج ١، ص ١٢٠.

دام الشخص يكون إنسانًا، لكنّها لما كانت: تصلح أن تؤخذ كلية، وهناك تصدق جزئية أيضًا، فإنّ المحمول على الكل محمول على البعض، وكذلك المسلوب. وتصلح أن تؤخذ جزئية. ففي الحالتين يصدق الحكم بها جزئيًا. فالمهملة في قوة الجزئية، وكون القضية جزئية الصدق تصريحًا لا يمنع أن تكون مع ذلك كلية الصدق. فليس إذا حكم على البعض بحكم، وجب من ذلك أن يكون الباقي بالخلاف. فالمهمل، وإن كان بصريحه في قوة الجزئي، فلا مانع أن يصدق كليًا».[1]

دفعت هذه العبارات الشارح الفاضل الخواجه نصير الدين الطوسي أن يعتبر صراحة قضايا مثل «الإنسانُ نوع» و «الإنسانُ عام» مهملة.[2]

طبعًا بعض أنصار نظرية التحويل يدرجون القضية الطبيعية في فهرس الشخصية، ويحتجّون لذلك بقول لابن سينا. مثلًا قطب الدين الشيرازي (٧١١ـ ٦٣٤هـ) لم يكن يفرد مكانًا مستقلًا للقضية الطبيعية، وفي شرحه لـ«حكمة الإشراق» للسهروردي لا يذكر شيئًا عن الطبيعية كما فعل المؤلف، ويدرج الطبيعية في كتابه «درة التاج» في زمرة القضايا الشخصية، وعلى غرار المناطقة السابقين يعقد فصلًا مستقلًا تحت عنوان «في الخصوص والحصر وإهمال القضايا»، ويدافع عن التقسيم الثلاثي التقليدي، طبعًا مع علمه واطلاعه بالتربيع، لكنّه لا يستحسنه، فيقول: «إذن، التقسيم ثلاثي، وأنّ التربيع كما قال به البعض غير مستحسن، لأنّه مخلّ بالحصر»،[3] علاوة على ذلك، فإنّ قطب الدين الشيرازي ينقل رأي ابن سينا في الإشارات والتنبيهات بأنّ الطبيعية هي المهملة، ويقول لكنّه في «الشفاء» يذكر بأنّ الطبيعية هي الشخصية[4]، ثم بعد ذلك يعمل الشيرازي على التوفيق بين رأيي ابن سينا في الإشارات والشفاء فيتناهى إلى ذهنه أنّ الطبيعية هي نفسها الشخصية: «يمكن التوفيق بين الشفاء والإشارات بالقول: صحيح أنّه صرّح في الشفاء أنّ "الإنسان نوع"

---

[1] ابن سينا، الإشارات والتنبيهات، صص ٢٣٣ - ٢٣٤.

[2]. المصدر نفسه، ص ١٢١.

[3]. الشيرازى، قطب الدين، درة التاج لغرة الدباج، ص ٣٤٩.

[4]. المصدر نفسه، ص ٣٥٠.

شخصية وليست مهملة، لكنّه لم يصرّح في الإشارات أنّها مهملة وليست شخصية» وبالتالي يبيّن رأيه الدقيق المتمثّل في تحويل الطبيعية إلى شخصية بالقول: «أمّا إذا كان الغرض من ذلك تعيين الطبيعة بواسطة لحوق المعنى العام بها، فلا حاجة، لأنّه موضوع الشخصية لا المهملة، وهذه من الدقائق».

جاء بعد ابن سينا مناطقة مثل الفخر الرازي التزموا بنظرية التحويل، واعتبروا صراحة القضية الطبيعية جزءًا من المهملة. وفي مبحث القياس في شرحه «الإشارات» لابن سينا يشير إلى الإشكال المشهور المطروح في قياس الشكل الأول أنّنا إذا بطريق الشكل الأول قلنا: «الإنسان حيوان»، و«الحيوان جنس» لا بد أن نستنتج بأنّ «الإنسان حيوان» و«الحيوان جنس» نتيجة كاذبة. ثم ينقل عدّة أجوبة لابن سينا والآخرين ويقول في الختام: «هيهنا جواب أظهر منه و هو أنّا إذا قلنا: الإنسان حيوان، فإن قلنا: الحيوان جنس، كانت الكبرى مهملة فكانت جزئيّة فلا تنتج».[1] إذن، تأدّى من تحويل الطبيعية أنّ رجلًا مثل الفخر الرازي اعتقد، شأنه شأن سائر المناطقة المتقدمين، بالأقسام الثلاثة للقضايا الحملية، ولم يذكر شيئًا عن الطبيعية.

رأي شيخ الإشراق أيضًا يمكن اعتباره منسجمًا مع الرأي القائل بتحويل الطبيعية إلى المهملة، ففي «منطق التلويحات» يستعين بمثال الطبيعية عند تحليله للقضية المهملة ويقول الألف واللام (أل) أحيانًا تشير إلى حقيقة ذهنية مثل «الانسانُ نوعٌ» ويشرح سبب ذلك بالقول أنّ (أل) في «الإنسان نوع» تشير إلى الحقيقة الموجودة في الذهن لا إلى الشمول، وهو ما يفسّر تعذّر الاستعاضة عن (أل) بكلمة (كل).[2]

ورد اسم الخواجه الطوسي (٥٩٨ـ٦٧٢هـ) في زمرة القائلين بنظرية التحويل. ففي شرحه للإشارات يتحدّث بصراحة أكبر قياسًا بسائر مصنّفاته عن مسألة تحويل الطبيعية إلى المهملة. ونهجه في ذلك هو كل ما قاله المتأخرون حول الطبيعية عزاه الخواجه إلى المهملة:

«إنا نعني بكل ج في «كل ج ب»، كلُ ما يقال له ج و يوصف بـ ج لاما هو طبيعة ج نفسها كما في

---

[1]. الفخر الرازى، شرح الاشارات، ج ١، ص ٢٨٧.

[2]. السهروردى، شهاب الدين، منطق التلويحات، ص ٢١.

المهملات، و ذلك لأن لفظ كُل لا يضاف إليها هناك»[1]

تشير عبارة «لا ما هو طبيعة ج نفسها كما فى المهملات» إلى أنّ المهملة باعتقاد الخواجه قضية موضوعها نفس طبيعة الشيء لا كل أفراد الموضوع، ولا الأفراد المتّصفين بالموضوع. ويقول بشكل واضح وشفاف في مواضع أخرى من شرح الإشارات: «أقول: الحكم في المهملة على الطبيعة المجردة»[2] وهو التعريف الذي ذكره المتأخرون على الطبيعية، أي القضية التي موضوعها طبيعة الشيء من حيث هي. وفي موضع آخر من هذا الكتاب يبني تقسيمه الثنائي على محور طبيعة الشيء ويجعل مقسم جميع الأقسام الثلاثة للحملية «طبيعة الشيء» ويقول أنّ طبيعة الشيء إما من حيث هي موضوع الحملية وإما لا. فتسمى الحالة الأولى المهملة والثانية المحصورة والشخصية: «فَلا يَخلو تلك الطَبائع إما أن يحكم عَليها من حَيث هى أو يحكم عليها مع لاحق... يحصل من الأول قضيةً مهملة».[3] ويتابع هذه العبارات فيعتبر المثالين «الإنسانُ نوع» و «الإنسانُ عام» مهملين.

طبعًا نتيجة لهذه الرؤية يذكر في كتابه «أساس الاقتباس» الأقسام الثلاثة التقليدية (الشخصية، المهملة، المحصورة)، ولا أثر للطبيعية في هذا المصنَّف المنطقي.[4]

ويقينًا، لا يمكن أن نحتمل أنّ الخواجه الطوسي كان غافلًا عن اعتبار القضية الطبيعية بوصفها قضية مستقلة في نظرية عدم التحويل؛ لأنّه كان مطلعًا تمامًا على آراء بعض الأشخاص مثل أثير الدين الأبهري (٥٩٧ـ٦٦٤هـ) أحد المعتقدين بنظرية عدم التحويل، وأحيانًا كان يشير إلى اكتشافاته، لكنّه لم يتناول نظرية عدم التحويل بالنقد، ولم يؤيّد رأيه، وبالنسبة لتقسيم الحمليات اختار التقسيم الثلاثي التقليدي.

عمر بن سهلان هو الشخص الوحيد الذي كان يعتقد بنظرية التحويل، وأنّ القضية الطبيعية مهملة لكنّه

---

١. الطوسى، الخواجه نصير الدين؛ اساس الاقتباس؛ ج ١، ص ١٦٢.

٢. المصدر نفسه؛ ج ١، ص ١٢١.

٣. المصدر نفسه؛ ص ١١٧.

٤. المصدر نفسه؛ ص ٧٤.

في تقسيم الحمليات كان يقول بالتقسيم المربّع بدلًا من التقسيم المثلث. يقول عمر بن سهلان:

«فالقضايا الحملية هي هذه الأربع مخصوصة و مهملة و محصورة كلية و محصورة جزئية».[1] مشكلة هذا التقسيم لحاظ قسم القسيم بدلًا من القسيم. إذا تجاوزنا المناطقة المتقدمين، فحتى بعض المتأخرين يؤكّد على نظرية تحويل الطبيعية إلى المهملة، وقد كتب رسالة مستقلة في إثبات وحدة المهملة والطبيعية.[2]

بيد أنّ جذور نظرية عدم التحويل تعود إلى أوائل القرن السابع الهجري، عندما وجّه اَفْضَلُ الدّينِ الخونَجي (٦٤٦ـ ٥٩٠هـ) نقدًا إلى نظرية التحويل وطرح نظرية عدم تحويل الطبيعية إلى مهملة بالاستناد إلى كتاب «الشفاء» لابن سينا ومثال «الانسانُ نوعٌ» ورفض اعتبارها مهملة. في ضوء تدوين كتاب «كشف الأسرار عن غوامض الأفكار» يمكن القول أنّ الخونجي هو أول منطيق منتقد لنظرية التحويل جعل للطبيعية موقعًا مستقلًا،[3] وسار على نهجه معاصروه، وتبنّوا نظرية عدم التحويل. مثلًا يرى أثير الدين الأبهري (٦٦٤ـ ٥٩٧هـ) في كتابه «كشف الحقائق» أنّ قضايا مثل «الإنسانُ نوعٌ» طبيعية. أو نجم الدين الكاتبي (٦١٧ـ ٦٧٥هـ) تلميذ الأبهري وشارحه، الذي يعتقد بنفس عقيدة أستاذه في عدم التحويل، حيث يقول في بعض مصنّفاته أنّ القضية الطبيعية معتبرة، ويطرح التقسيم المربّع. وكذلك سعد الدين التفتازاني (٧٩٤ـ ٧٢٢ هـ) يقول بالتقسيم المربع في رسالته «تهذيب المنطق والكلام»،[4] ومحشّي هذا الكتاب الملا عبد الله اليزدي أيضًا يعتقد بنفس النظرية. على أيّ حال، فنظرية التقسيم المربّع قد ترسّخت في أوساط معظم المتأخرين مثل ميرداماد وصدر الدين الشيرازي والحكيم السبزواري.

موقع القضية الطبيعية من منظار الملا عبد الله

---

١. الساوى، عمر بن سهلان؛ البصائر النصيريه؛ ص ١٧٣.

٢. جلوه، ابو الحسن؛ المهملة هى الطبيعية؛ ص ١٢١.

٣. قراملكى، احد فرامرز؛ از طبيعيه تا محمول درجه دو؛ ص ٤١.

٤. التفتازانى، سعد الدين؛ تهذيب المنطق والكلام؛ ص ٨.

كان الملا عبد الله اليزدي جامع المعقول والمنقول، وقد درس العلوم العقلية على الملا جمال الدين محمود تلميذ العلامة الدواني. كتب حاشية على رسالة التفتازاني الشهيرة «تهذيب المنطق و الكلام»، وكانت تدرّس في الحوزات العلمية الشيعية في إيران وشبه القارة الدينية كإحدى المناهج الدراسية المهمة،[1] كما دوّنت حواش عديدة على حاشية الملا عبد الله، منها، مثلاً، حاشية عبد الرزاق اللاهيجي، وحاشية الميرزا محمد على قراجه داغى، وحاشية الملا نظر علي الجيلاني وحاشية الميرزا علي رضا تجلي.

في هذا الكتاب يقف الملا عبد الله إلى جانب الملتزمين بنظرية عدم التحويل. ويفرد للقضية الطبيعية موقعًا مستقلاً، وفي تقسيمه المنطقي الثنائي يعتبر الطبيعية قضية الحكم فيها هو على نفس «حقيقة الكلي»: «أن يَكونَ الحكم على نَفس حقيقة هذا الكلي». والمقصود من «هذ الكلي» الكلي المذكور في المرحلة الأولى من تقسيم الثنائية في مقابل الجزئي الحقيقي: «الموضوع إما جزئي حقيقي كقولنا: «هذا إنسان» أو كلي». وبناءً عليه فإنّ «هذا الكلي» هو الشيء الذي يقابل الجزئي الحقيقي، والمفهوم الذي يصدق على الكثيرين. وهو أعم من أن يكون ماهية وطبيعة كلية (مثل الإنسان، الشجر و..)، أو مفهومًا كليًا (مثل الإمكان، الامتناع و...). وكذلك أعم من أن يكون كليًا منطقيًا أو كليًا فلسفيًا أو كليًا طبيعيًا.

إذن، نستنتج من هذا الجزء من عبارة المرحوم الملا عبد الله أنّ الحكم على كل مفهوم في القضية الطبيعية، وفقًا لنظرية عدم التحويل، هو حكم عام وكلي، وعلى الرغم من وجود مصاديق له، فإنّ حيثيته المفهومية أُخذت بالاعتبار وليس حيثية صدقه. لهذا، فإنّ ما يذكره في مقابل موضوع الطبيعية في المرحلة الثانية من تقسيمه الثنائي هو الأفراد والأشخاص: «الحُكم على نَفس حقيقة هذا الكلي أو على أفراده».

يذكر الملا عبد الله القضية الطبيعية كقسم في مقابل قسم آخر، وقسيمها القضية التي تتعلق بالحكم على أفراد الموضوع. وقد حذا المناطقة حذوه تارةً في قسيم الطبيعية، وتارةً أخرى اعتبروا قسيمها القضية التي

---

[1]. بجنوردى وآخرون، دائرة المعارف بزرگ اسلامى، ج ١٥، ص ٦٧٠.

تعيّن كمّ الأفراد. ويذكر المرحوم الميرزا محمد علي في حاشيته على حاشية الملا عبد الله نفس هذه النقطة قائلًا: «إنّه جعل الطبيعية قسمًا و مقابلًا لمّا حكم فيه على الأفراد لا لما بين فيه كميّة الافراد»،[1] و قسيم الطبيعية من منظار الملا عبد الله قضية لم يحمل الحكم فيها على أفراد الموضوع. ثم ينقل المرحوم الميرزا محمد علي، رأي نجم الدين الكاتبي (٦٧٥ـ٦١٧هـ) من أنّ قسيم الطبيعية قضية تعيّن فيها كمّ الأفراد: «و ان لم يبيّن فيها كمية الأفراد فإن لم يصلح لأن يصدق كلية و جزئية سميت طبيعية، و إن صلحت لذلك سميت مهملة»، بمعنى أنّ الموضوع إمّا جزئي وشخصي وإمّا كلي، وفي الحالة الثانية، إمّا يبيّن فيه كمّ الأفراد أو لا يبيّن. فإذا بيّن كمّ الأفراد كان محصورًا، وإذا لم يبيّن كمّ الأفراد في موضوع القضية، حينئذ إمّا أن يكون الموضوع على نحوٍ لا يصلح أن تصدق عليه الكلية والجزئية أو يصلح. فتكون الأولى طبيعية والثانية مهملة. هذا التقسيم المنقول عن نجم الدين الكاتبي ينطوي على هذه الشائبة وهي أنّ موضوع الطبيعية أيضًا على الأفراد، ولكن لم يبيّن كمّها والحال أن هذا أيضًا ليس مقصود الكاتبي.

ويتابع المرحوم الملا عبد الله فيقدّم وصفًا أكبر عن موضوع الطبيعية فيستعرض خصائصها كما يلي: «الطبيعية لا يبحث عنها في العلوم أصلًا فإنّ الطبائع الكلية من حيث نفس مفهومها كما هو موضوع الطبيعية لا من حيث تحقّقها في ضمن الأشخاص غير موجودة فى الخارج».[2] هنا يصف موضوع القضية الطبيعية بنحو أخص وأضيق. يمتاز الموضوع في هذه العبارة ببضعة خصائص:

١. موضوع الطبيعية من «الطبائع الكلية». وعليه فليس كل مفهوم ذهني يشمل معنى (ما يُفهَم). فمن ناحية، الطبائع الكلية غير موجودة في الخارج بالفعل. وعلى قول ابن سينا «ليس يمكن أن تكون الطبيعة توجد في الأعيان و تكون بالفعل كلية»،[3] فوصف الكلية للطبيعة ثابت ما دام متحقّقًا في الذهن. لذا،

---

[1]. اليزدى، الملا عبد الله، الحاشيه على تهذيب المنطق، ص ٢٧١.

[2]. المصدر نفسه.

[3]. ابن سينا، الشفا، ص ١١٢.

فموضوع الطبيعية ليس وصف الكلية بل موصوفها.

۲. لقد ورد الموضوع، لجهة الحيثية المفهومية، في منظومة القضية؛ ذلك أنّ الطبائع الكلية أيضًا ذات حيثيتين، حيثية مفهومية وأخرى مصداقية، والمقصود هنا الحيثية المفهومية.

۳. موضوع الطبيعية غير موجود في الخارج، لأنّه لم يُلحظ تحقّق الطبائع الكلية في ضمن الأشخاص في موضوع الطبيعية.

مقسم الطبيعية

في التقسيم المربّع أو المثلّث، اعتبر البعض أنّ المقسم هو القضية الحملية بكل أركانها (الموضوع والمحمول والرابطة)، بينما اعتبر بعض آخر المقسم هو موضوع القضية فقط. والمقسم عند المرحوم الملا عبد الله هو القضية الحملية. في رسالته «تهذيب المنطق» يطلق سعد الدين التفتازاني على المقصد الأول عنوان «التصورات» وعلى المقصد الثاني «التصديقات». في بداية المقصد الثاني يقسّم القضايا الحملية بلحاظ الموضوع، ويعتبر «موضوع القضية» مقسم الطبيعية ويقول:

«و الموضوع إن كان مشخصا سميت القضية شخصية و مخصوصة، و إن كان نفس الحقيقة فطبيعية، و إلّا فإنّ بين كمية أفراده كلًا أو بعضًا فمحصورة كلية أو جزئية و ما به البيان سور و إلا فمهملة.»[۱]

ثمّة مبادئ مطروحة بالنسبة للتقسيم المربع للتفتازاني:

المبدأ الأول: مقسم هذا التقسيم هو «موضوع القضية» لا جميع أركانها.

المبدأ الثاني: تركيبة التقسيم ثنائية منطقية بصيغة الترديد بين النفي والإثبات[۲]، فموضوع القضية إمّا شخصي جزئي أو لا. في حال الإثبات «شخصية»، وفي حال النفي يستمر التقسيم فيكون الموضوع إمّا نفس الطبيعة

---

۱. التفتازانی، سعد الدین؛ تهذیب المنطق والکلام؛ ص۸.

۲. المظفر، محمد رضا، المنطق؛ ص ۱۱۷.

الكلية أو لا، في حال الإثبات «طبيعية» وفي حال النفي يستمر التقسيم فيكون الموضوع إمّا كمّ الأفراد محدّدًا أو لا. في حال الإثبات «محصورة» وفي حال النفي «مهملة».

المبدأ الثالث: معيار تقسيم الثنائية الأولى، تشخّص موضوع القضية. التشخّص يعني التشخّص الجزئي. أي أن يكون شخصًا خاصًا لا يصدق على الكثيرين، مثل الإنسان بشرط شيء، بمعنى، ماهية تتوفر على جميع شروط فرد خاص. في هذه الحال، وحيث أنّ التشخّص يتنافى مع الكلية، فإنّ قسيمه هو الكلي الذي يستمر التقسيم من ناحية قسيمه.

المبدأ الرابع: معيار تقسيم الثنائية الثانية كمّ الأفراد. إذا كان الكمّ معينًا فالقضية «محصورة» وإلّا فهي «مهملة».

في شرحه لهذه العبارات يؤيّد المرحوم الملا عبد الله اليزدي بعضًا من المبادئ الأربعة أعلاه، أعني، يؤيّد المبادئ الثانية والثالثة والرابعة دون المبدأ الأول، ويقول أنّ مقسم هذا التقسيم المربع هو «القضية الحملية»:

«هذا تقسيم للقضية الحملية باعتبار الموضوع، و لهذا لوحظ فى تسمية الأقسام حال الموضوع فيسمى ما هو موضوعه شخص شخصية و على هذا القياس»[1]

فالمقسم عنده «القضية الحملية» لا موضوعها. وحيث أنّ أحد الشروط المنطقية للتقسيم أن نلحظ جهة واحدة في المقسم لتُتّخذ هذه الجهة كمعيار وأساس للتقسيم.[2] وعليه، ف «الموضوع» هو تلك الجهة الواحدة الملاحظة في التقسيم. بعبارة أخرى، «الموضوع» هو المعيار والأساس في التقسيم المربع لا مقسمه.

بعد ذلك يؤيّد المرحوم الملا عبد الله المبدأ الثاني ويصف تقسيم التفتازاني بأنّه تقسيم ثنائي منطقي ويقول:

«محصل التقسيم: أنّ الموضوع إما جزئي حقيقي كقولنا: «هذا إنسان» أو كلي، و على الثاني فإما أن يكون الحكم على نفس حقيقة هذا الكلي أو على أفراده، و على الثاني فإما أن يبين كمية الأفراد المحكوم عليها بأن

---

[1]. المصدر نفسه، ص ٥٨.

[2]. المصدر نفسه، ص ١١٢.

يبين أن الحكم على كلها أو على بعضها أو لا يبين ذلك بل يهمل، فالأولى شخصية و الثانية طبيعية و الثالثة محصورة و الرابعة مهملة»[1]

هذا التقسيم بصيغة الترديد بين النفي والإثبات، وأنّ نافذة توسعة التقسيم تمر عبر النفي. لذا، فأقسام الحملية تنحصر في أربعة أقسام. والموضوع وأحواله هو معيار هذا التقسيم الثنائي. والحال أنّه أولًا، تمّ لحاظ الموضوع في المرحلة الأولى من هذا التقسيم وهو الجزئي الحقيقي، وقالوا في تعريفه: «إنّ الجزئي الحقيقيّ لا يحمل على كلّه بالمواطاة، و إنه ينقسم إلى علم شخص و علم جنس».[2]ولكي يتناقض قسما الثنائية لئلا يُفترض شق ثالث فقد ذكر معيار «الجزئي الحقيقي» للموضوع؛ لأنّ نفس تصور الجزئي الحقيقي يمنع المشاركة ونفس التصور الكلي لا يمنع. وهذان الاثنان نقيضان. وفي المرحلة الثانية من الثنائية بيّن معيار «سريان الحكم إلى أفراد الموضوع» وهو أنّ الحكم إما يسري على أفراد الموضوع أو لا يسري. وفي المرحلة الثالثة يذكر معيار «كمّ الأفراد» للموضوع، أي، في المراحل الثلاثة جميعها اتّخذ كل حال من أحوال الموضوع معيارًا جديدا للتقسيم، لذا فالمقسم في هذا التقسيم المربع هو «قضية حملية»، ويعتبر «الموضوع» بحالاته الثلاث (الجزئية، السريان، الكمّ) جهة واحدة لوحظت في المقسم. أي إنّ «الموضوع» هو معيار التقسيم المربع وأساسه، وليس مقسمه.

قبل التفتازاني، كان قطب الدين الرازي (٦٤٧ - ٧٦٦هـ) أحد عظماء علماء الإسلام ومفاخر الشيعة في علم المنطق والكلام والفلسفة قد طرح في كتاب تحرير القواعد المنطقية في شرح الشمسية، وهو شرح على كتاب الشمسية لنجم الدين عمر بن علي الكاتبي القزويني (٦٧٥هـ) طرح هذا التقسيم الثنائي واعتبر المقسم «القضية الحملية»، ومعيار التقسيم هو موضوع القضية.[3]

وكان ابن سينا قد ذكر هذا التقسيم بهذا الأسلوب الثنائي والترديد بين النفي والإثبات، ولكنّ أقسامه لم

---

[1]. المصدر نفسه.

[2]. جبر، فريد، موسوعة مصطلحات علم المنطق، ص ٢٣٧.

[3]. الرازى، شرح مطالع الانوار فى المنطق، ص ٢٤٣.

تزد عن الثلاثة «الشخصية والمهملة والمحصورة».[1] طبعًا كان موضوع القضية هو المقسم في تقسيم ابن سينا، وقد انتقد المتأخرون تقسيم ابن سينا هذا، حسبما ذكر قطب الدين الرازي وآخرون، محتجين أنّ هذا التقسيم لا يشمل جميع الأقسام، إذ لم تُذكر القضية الطبيعية ضمن أقسام الحملية، فكان جواب قطب الدين الرازي على ذلك:

«و الجواب أنّ الكلام فى القضيّة المعتبرة فى العلوم، و الطبيعيّات لا اعتبار لها فى العلوم، لأنّ الحكم فى القضايا على ما صدق عليه الموضوع ـ و هى الأفراد ـ و الطبيعة ليست منها»[2]

لو أردنا أن نحلّل ردّ قطب الدين الرازي من وجهة نظر الملا عبد الله فلا يبدو أنّ هذا الجواب وافيًا وتامًا، لأنّ ابن سينا ذكر في تقسيمه القضايا «الشخصية» و«المهملة» أيضًا، حيث أنّ هذه القضايا، من وجهة نظر الملا عبد الله، ليست من العلوم المعتبرة، وطبقًا لهذا التحليل ما كان للشخصية والمهملة أيضًا أن تذكرا. بحسب اعتقاده القضية المحصورة هي وحدها المعتبرة ولا غير، وسنأتي على بسطها وتفصيلها في مبحث تقييم اعتبار القضية الطبيعية.

ثمّة إشكال آخر على ردّ القطب الرازي وهو أنّ الحكم في القضايا الطبيعية أيضًا هو «على ما صدق عليه الموضوع»، غير أنّ مصداق أو فرد كل مفهوم هو بحسب ذلك المفهوم. فالفرد والمصداق هما طبيعة الشيء في الذهن.

تقييم القضية الطبيعية

في كتابه الحاشية يبيّن المرحوم الملا عبد الله الأقسام الأربعة للحمليات، ثم يقيّم اعتبار كل قسم. في البداية، وبعبارة موجزة واحدة يعتقد باعتبار القضايا المحصورة فقط: «اعلم: أن القضايا المعتبرة فى العلوم هى

---

[1]. ابن سينا، حسين بن عبد الله، الاشارات و التنبيهات، ج ١، ص ١١٧.

[2]. الرازى، شرح مطالع الانوار فى المنطق، ص ٢٤٤.

المحصورات الأربع لا غير»[1]

وفي معرض تبيينه لأسباب عدم اعتبار المهملة يقول: « إذ كلما صدق الحكم على أفراد الموضوع فى الجملة صدق على بعض أفراده»

باعتقاد الملا عبد الله المهملة والجزئية متلازمتان وسبب هذا التلازم هو أنّه في القضايا المهملة فإنّ الحكم يحمل على أفراد الموضوع «في الجملة». وفي هذه الحال يكون الحمل على بعض الأفراد قطعيًا. وعليه، فالمهملة تقع تحت طائل القضايا الجزئية. والقضايا الشخصية أيضًا بلا اعتبار لأنّ المعرفة والإطلاع الذي يحصل من الشخصية لا اعتبار له لسببين:

أولًا: إنّها معرفة جزئية، بينما المعرفة المعتبرة يجب أن تكون كلية. ثانيًا: متغيرة وغير ثابتة. ولذلك، فإنّ العلم بالشخصية ليس كمالًا. ويذكر سببين اثنين أيضًا في عدم اعتبار القضايا الطبيعية:

أولًا: لا تستخدم الطبيعية بأيّ حال في العلوم. ثانيًا: لا يوجد موضوع الطبيعية في الخارج، وإنّما له حيثية مفهومية فحسب، وليس له تحقق في ضمن الأشخاص. من هنا فإنّ المعرفة والاطلاع بهكذا موضوع والتعرّف على أحواله وأحكامه لا يعدّ كمالًا للإنسان. عين عبارة الملا عبد الله هي:

«و الطبيعية لا يبحث عنها فى العلوم أصلاً فإن الطبائع الكلية من حيث نفس مفهومها كما هو موضوع الطبيعية لا من حيث تحققها فى ضمن الأشخاص غير موجودة فى الخارج فلا كمال فى معرفة أحوالها».[2]

إذن، باعتقاد الملا عبد الله أنّ من بين الأقسام المذكورة في التقسيم المربع وحدها القضايا المحصورة هي المعتبرة: «فانحصر القضايا المعتبرة فى المحصورات الأربع»، ولكن لأنّ الكمّية المذكورة في الموضوع تارةً تكون كلية شاملة لجميع الأفراد، وتارةً أخرى تشمل بعضهم، فإنّ القضية المحصورة تنقسم إلى قسمين كلّي وجزئي. من ناحية ثانية، لو أضيف إلى الاهتمام بكمية القضية الاهتمام بكيفيتها أيضًا، لانقسمت القضية

---

[1]. اليزدى، الملا عبد الله، الحاشيه على تهذيب المنطق، ص ٥٨.

[2]. المصدر نفسه.

إلى قسمين: موجب وسالب، ولكان حاصل ضرب كم وكيف القضية تحقّق أربعة أنواع قضايا معتبرة في علم المنطق.

ينتقد المرحوم الميرزا محمد علي في حاشيته على الحاشية كلام الملا عبد الله سلب اعتبار القضايا الطبيعية ويعتقد أنّ القضايا الطبيعية في علم المنطق معتبرة تمامًا، وأنّها جزءًا من مسائل هذا العلم. وبخلاف ما يعتقد الملا عبد الله من أنّ معرفة موضوع الطبيعية والاطلاع حول أحواله وأحكامه ليس كمالًا، يقول المرحوم الميرزا محمد علي أنّه في مواضع عدّة من علم المنطق تمّ البحث في أحوال وأحكام موضوع القضية الطبيعية. مثلًا قيل في الشكل الأول للقياس أنّ الطبيعية في كبرى الشكل الأول غير منتجة. أو أنّه في مبحث عكس المستوى يتحدّث عن أحواله. لذا، فالطبيعية في علم المنطق معتبرة.

بعد ذلك وفي معرض دفاعه عن هذه الأشكال يقول: ربما كان ما يقصده الملا عبد الله اعتبار هذه القضايا في علم الفلسفة والحكمة لا في مطلق العلم.[1]

نتيجة البحث

- بالنسبة لمكانة القضية الطبيعية ثمة نظريتان مطروحتان: التحويل وعدم التحويل، كان الملا عبد الله اليزدي يعتقد بنظرية عدم تحويل الطبيعية.
- لم ينظر ابن سينا وشرّاحه إلى القضية الطبيعية كقضيلة مستقلة، وفي الغالب كانوا يصنّفونها كقضية مهملة، وفي أحيان أقل قضية شخصية، وقد تأثّر الشرّاح في هاتين النظريتين التحويليتين أعني المهملة أو الشخصية بازدواجية كلام ابن سينا في الإشارات والشفاء.
- وفقًا لرأي الملا عبد الله اليزدي إنّ موضوع القضية الطبيعية من «الطبائع الكلية»، والطبائع لجهة الحيثية المفهومية قد وردت في منظومة القضية، ولذلك فهي ليست متحققة في الخارج، كما أنّها لا

[1]. المصدر نفسه، ص ٢٧٦.

تشمل كل مفهوم ذهني. موضوع هذه القضية ليس وصف الكلية بل موصوفها.

- يعتقد بعض المناطقة أنّ مقسم الطبيعية القضية الحملية بكل أركانها (الموضوع و المحمول و الرابطة)، وبعض آخر يعتقد أنّ المقسم هو فقط موضوع القضية، وبعض ثالث «طبيعة الشيء»، وبالنسة للملا عبد الله اليزدي فإنّه يرى المقسم في هذا التقسيم المربع «القضية الحملية» لا موضوعها، وينظر إلى «الموضوع» كجهة واحدة ملحوظة في المقسم. أعني، أنّ «الموضوع» هو معيار التقسيم المربع وأساسه وليس مقسمه.
- وفقًا لرأي الملا عبد الله، لا اعتبار للقضايا الطبيعية لسببين: الأول هو أنّ الطبيعية لا تستخدم بأيّ وجه في العلوم. والثاني لا يوجدّ موضوع الطبيعية في الخارج وإنّما له حيثية مفهومية فحسب، من هنا فإنّ المعرفة والاطلاع بهكذا موضوع والتعرّف على أحواله وأحكامه لا يعدّ كمالًا للإنسان. وقد تعرّض هذا الرأي لنقد الآخرين.

المصادر:

١ . ابن سينا، حسين بن عبد الله؛ الاشارات و التنبيهات؛ مع الشرح للمحقق الطوسى، قم: نشر البلاغة، ١٣٧٥.

٢ . ـــــــ ؛ الشفا؛ قم: مرعشى نجفى؛ تصحيح: سعيد زائد قنواتى؛ ١٤٠٤هـ.

٣ . ارسطو؛ المنطق؛ حققه و علق عليه: عبدالرحمن بدوى؛ بيروت: ١٩٨٠م.

٤ . جمعية المفاخر الثقافية؛ اثرآفرينان؛ ١٣٨٠؛ ج ٦.

٥ . بجنوردى وآخرون؛ دائرة المعارف بزرگ اسلامى؛ ط. الأولى؛ مركز دائرة المعارف بزرگ اسلامى؛ طهران: ١٣٨٧.

٦ . التفتازاني، سعد الدين؛ تهذيب المنطق والكلام؛ مصر: مطبعة السعاده؛ ١٩١٢م.

٧ . جبر، فريد؛ موسوعة مصطلحات علم المنطق؛ لبنان: مكتبه ناشرون؛ ١٩٩٦م.

٨ . جلوه، أبو الحسن؛ المهملة هى الطبيعية؛ تصحيح: غلام حسين رضا زاده؛ گلشن جلوه؛ إعداد: غلام رضا گلى زواره؛ قم، ١٣٧٥.

٩ . الحلي (العلامة)، حسن بن يوسف؛ القواعد الجلية فى شرح رسالة الشمسية؛ تحقيق: فارس حسون تبريزيان؛ قم،١٤١٢هـ .

١٠ . ـــــــــ ؛ الجوهر النضيد فى شرح منطق التجريد؛ قم: ١٣٦٣ش.

١١ . الرازى، قطب الدين؛ لوامع الاسرار فى شرح مطالع الانوار؛ قم: منشورات كتبى نجفى؛ بلا تاريخ.

١٢ . الساوى، عمر بن سهلان؛ البصائر النصيرية؛ طهران: منشورات شمس تبريزى؛ ١٣٨٣.

١٣ . السهروردي، شهاب الدين؛ منطق التلويحات؛ تحقيق: علي أكبر فياض؛ طهران، ١٣٣٤.

١٤ . الشيرازي، قطب الدين؛ درة التاج لغرة الدباج؛ تصحيح: السيد محمد مشكوة؛ طهران: منشورات حكمت؛ ١٣٦٩.

١٥ . الطوسي، الخواجه نصير الدين؛ اساس الاقتباس؛ تصحيح: السيد عبد الله انوار؛ طهران: نشر مركز، ١٣٧٥.

١٦ . الفخر الرازي، شرح الاشارات؛ منشورات جمعية الآثار والمفاخر العلمية؛ ١٣٨٤.

١٧ . فرامرز قراملكى، احد؛ از طبيعيه تا محمول درجه دو؛ مقالات و بررسى‌ها؛ العدد ٧٤، ١٣٨٢.

١٨ . اليزدي، الملا عبد الله؛ الحاشيه على تهذيب المنطق؛ قم: مؤسسة النشر الاسلامى؛ ١٤١٢هـ.

الملا عبد الله اليزدي والدولة الصفوية من منظار قائد الثورة الإسلامية

أميرحسين عرفانى

ترجمة: حسين صافي

ملخص:

ما فتئ العصر الصفوي منذ القدم وحتى اليوم عرضة لسهام نقد العديد من الكتّاب في الداخل والمستشرقين الأجانب في الخارج، وطُرحت آراء وعقائد مختلفة فيما يخصّ انحطاط العلم والمعرفة وأفول الظواهر الحضارية في إيران في العصر الصفوي حتى صار يقال أنّ هذا العصر لم يشهد بروز عالم أو أديب مرموق. ويراد من وراء هذه الآراء طمس عظمة رجال عظام أنجبهم ذلك العصر من أمثال ميرداماد وصدر الدين الشيرازي وصائب تبريزي والملا عبد الله اليزدي والشيخ البهائي. وقد انبرى قائد الثورة الإسلامية إلى دحض هذه الآراء بشدّة قائلًا: إنّ العصر الصفوي من أكثر عصور التاريخ الحضاري الإيراني والإسلامي ازدهارًا وتألّقًا، وأنّه لم يُسلّط الضوء على هذا العصر كما هو حقّه. لقد عاش علماء فطاحل كثر في العصر الصفوي منهم العلامة الجليل الشيخ عبد الله البهابادي اليزدي الذي قدّم خدمات عظيمة ولعب دورًا علميًا واجتماعيًا وسياسيًا مهمًا. نتناول في هذه الورقة ظروف الدولة الصفوية ومؤشراتها الإيجابية والوقوف عند النظرة الخاصة لسماحة قائد الثورة الإسلامية للملا عبد الله البهابادي. أملًا في دحض النظرة السلبية الخاطئة تجاه الدولة الصفوية إلى الأبد.

الكلمات المفتاحية: قائد الثورة الإسلامية، الملا عبد الله اليزدي، الحضارة، الدولة الصفوية.

مقدمة

«مفاخر إيران بعد الإسلام لا تقارن بأيّ عصر من تاريخ إيران .. فقد تعاظم التطور على الصُعد العلمية والفنية والثقافية وحتى العسكرية في إيران ما بعد الإسلام وبخاصة في عصور الديالمة والسلاجقة والصفوية بشكل لا يمكن مقارنته بأيّ وجه مع إيران ما قبل الإسلام ... إن أردتم دعم ومساندة إيران والانتماء الإيراني فإنّ تاريخ إيران بعد الإسلام أكثر توثيقًا ووضوحًا.»[1]

يعدّ الملا عبد الله البهابادي وأسرته من مفاخر إيران والإسلام، وإذا أردنا أن ندافع عن إيران والانتماء الإيراني يجب أن نسلّط الضوء على مثل هذه الشخصيات ونقتدي بها. وصرّح سماحة قائد الثورة الإسلامية في سياق التعريف بشخصية الملا عبد الله وأسرته وتكريمهم: «لقد أنجبت هذه المنطقة الصحراوية شخصيات فذة برعت في العلوم الإسلامية والتفسير والرياضيات والفقه والحديث. قالوا عن مدينة يزد أنّها «دار العبادة»، وليس جزافًا إذا نحن أطلقنا على هذه المدينة لقب «دار العلم» ولما كان في قولنا أيّ مبالغة ... مثلاً، تصوّروا أنّ الملا عبد الله صاحب الحاشية هو أستاذ الشيخ البهائي وصاحب المدارك، إنّها مسألة جدّ عظيمة. أنتم تعلمون أنّ صاحب المدارك يعدّ من أبرز فقهائنا المتأخرين. والملا عبد الله هو أستاذه في العلوم العقلية، وخطرت ببالي الآن هذه الفكرة وهي أنّ هذا العالم الديني كان في قلب النشاطات السياسية بخلاف ما قد يتصوّر البعض اليوم هنا وهناك. كان معاصرًا للشاه عباس الصفوي الذي ذهب لزيارة العتبات المقدسة في النجف الأشرف بالعراق فرأى أوضاع المدينة ليست على ما يرام فاختار الملا عبد الله ليكون سادنًا للحضرة المقدسة لمولانا أمير المؤمنين (عليه السلام). ومن كان يتبوّأ منصب السدانة وخزانة الحضرة العلوية المقدسة في ذلك العصر كان بمثابة حاكم النجف الأشرف. والملفت أنّ هذا المنصب بقي حصرًا في الملا عبد الله البهادبادي وذريته من بعده لسنوات طويلة».[2]

---

[1]. لقاء سماحة القائد برئيس الجمهورية وأعضاء الحكومة، ۶-۶-۱۳۹۰ش.

[2]. http://www.molaabdellah.ir _ /

تشويه صورة العصر الصفوي

أصل هذا التشويه لصورة العصر الصفوي هو المرحوم محمد خان القزويني الباحث المعاصر الشهير (م ١٣٢٨ش). ثم تابع هذا المسار الباحث الإيراني سبهر مؤرّخ الدولة والمستشرق الشهير إداورد براون مؤلف كتاب تاريخ الأدب الإيراني، اللذان لم يدّخرا جهدًا للحطّ من شأن العصر الصفوي وتشويه صورته في أعين الأجيال بالقول أنّه على مدى قرنين من الزمان، فترة حكم الصفويين، ليس فقط لم تتقدّم العلوم والآداب والثقافة والفن فحسب بل شهدت انحسارًا وأفولًا شديدًا، وانتشر التخلّف والانحطاط في البلاد. وانضمّ إلى جماعة المنتقدين الشاعر الإيراني الشهير محمد تقي بهار الذي وإن غبط بعض عظماء العصر الصفوي في كتابه «سبك شناسي» لكنّه في المحصلة كان ممّن حملوا على ذلك العصر وأشاعوا ثقافة ذمّ الصفويين. وانضمّ إلى جماعة المنتقدين كل من عباس إقبال آشتيانى، و منصور رستگار فسايى، وجلال آل احمد، والدكتور علي شريعتي، والدكتور صفا، والدكتور سعيد نفيسى، وقد استندوا في إصدار هذا الحكم إلى أدلة واهية مكرّرين المزاعم النمطية لمحمد القزويني وآرائه المغلوطة النابعة من ميوله الحادة لتقوية الأسلوب الخراساني والعراقي في الأدب والشعر.

لذا، فحملة التشويه للعصر الصفوي بدأت من الأدب والشعر، ثم انتقلت عدواها إلى سائر العلوم والفنون. ففي كتابه «تاريخ نظم و نثر در ايران» يوجّه سعيد نفيسي نقدًا لاذعًا لمنظومة النثر في العصر الصفوي.[١] وفي نفس السياق يحمل الدكتور رستگار بلا رحمة على ذلك العصر فيقول: العصر الصفوي عصر الانحطاط الفكري والعقلي والأدبي.[٢]

بدوره انتقد الدكتور ذبيح الله صفا عشرات المرات أوضاع العلوم والآداب في العصر الصفوي واصفًا

---

١. سعيد نفيسى، تاريخ نظم و نثر در ايران، ج ١، صص ٣٥٤ و ٤٠٨، طهران، فروغى، ١٣٦٣.

٢. منصور رستگار فسايى، انواع نثر فارسى، ص ٥٠٧. طهران، سمت، ١٣٨٠.

إيّاه بعصر انحطاط الأدب الفارسي وتراجع العلوم والمعارف.[1] أحد العوامل وراء هذه الحملات على العصر الصفوي هو الهجرة الواسعة للشعراء الإيرانيين إلى بلاد الهند، بل إنّ بعضهم عزا ذلك إلى البخل الذاتي لملوك الصفوية،[2] لكنّ الإنصاف يقتضي أن ننظر إلى محاسن ومساوئ ذلك العصر سواءً بسواء. فالحكم المسبق بانحطاط العلم والفن والأدب لن يؤدّي إلى نتيجة، فمثلاً يجب أن نبحث عن الأسباب وراء امتناع ملوك الصفوية عن تقديم الصلات للشعراء؟ مع العلم أنّهم اشتهروا بالكرم والبذل، لكنّهم كانوا ينظرون إلى شعراء عصرهم والعصور السابقة[3] من زاوية الدين، كما كانت نظرة النبي الأكرم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) إلى الشعراء نظرة دينية. وعليه، فهذه السياسة لملوك الصفوية كانت، أولًا، مبنية على رؤية عقدية كونية، ثانيًا، ومن زاوية اجتماعية، تندرج في إطار سعيهم لمحو الخصلة الرذيلة والمنافقة لبعض الشعراء والمتمثلة في مدح الظلمة. وهو سعي مشكور في مجال الشعر، وكانت خطوة على طريق أجل اجتثاث هذه الصفة المذمومة من المجتمع. وقد نُقل عن الشاه طهماسب الصفوي قوله: لا أقبل أن يطلق الشعراء قرائحهم في مدحي والثناء عليّ.[4]

وقد منعت هذه السياسة الشعراء، على الأقل ظاهريًا، من الانحطاط الذاتي ورفع الممدوح إلى مرتبة الألوهية، ولم تسمح لهم أن يضعوا أنبل الخصال الإنسانية، أعني عزّة نفسهم وكرامتهم، في سوق المزايدات الرخيصة، وإنشاء قصائد المديح فقط من أجل تقبيل عتبة قصور الأمراء الفاسدين على حساب العقيدة والفكر.[5]

بالنسبة لعدم دلالة أشعار الشعراء في ذلك العصر، فإنّه اتهام باطل، على الأغلب، وهو أمر واضح ومفهوم

---

[1]. على سبيل المثال أنظر: ذبيح الله صفا، تاريخ ادبيات در ايران، صص ۲۳۲ و ۴۲۲ و ۴۱۵. طهران، فردوس، ط. ۱۱، ۱۳۸۲.

[2]. نادر وزين‌پور، مدح داغ ننگ بر تارك شعر فارسى، ص ۴۷۷، طهران، معين، ۱۳۷۴.

[3]. مثلا تذكره شاه طهماسب، صص ۶۱ و ۶۱، طهران، مشرق، ط. ۲، ۱۳۶۳.

[4]. عالم آراى عباسى، ص ۱۷۸.

[5]. مايوانى گيلانى، تاريخ ادبيات ايران، ج ۳، ص ۱۸، قم، مولف، ۱۳۷۷.

لمن هو ملمّ بالشعر ومطلع على الأسلوب الهندي في الشعر.[1] ولكن هل أنّ إبداع أسلوب أدبي جديد كان من متطلبات ذلك العصر، ذاك ما يجيبنا عنه الباحث المرحوم أمير فيروزكوهي في تحليل شيّق وجدّ رائع.[2] ثمّة ملاحظة تتعلّق بالنثر جديرة بالذكر وهي أنّ الأسلوب الرديء للنثر في ذلك العصر إنّما كان امتدادًا للعصر التيموري الذي سبقه،[3] لذا، فإذا كان من نقد يوجّه إليه، فمن باب أولى أن يوجّه إلى العصر التيموري.

أمّا في حقل العلوم والمعارف ووفرة مشاهير العلماء الإيرانيين وغير الإيرانيين الذين أنجبتهم حضارة الدولة الصفوية فيكفي أن نلقي نظرة سريعة على طبقات أعلام الشيعة والذريعة للشيخ آغا بزرك الطهراني وكذلك رياض العلماء للشيخ أفندي لنتأكّد من خطل وبطلان هذا الزعم الذي يطرحه المنتقدون للعصر الصفوي. كما لا ينبغي المرور مرّ الكرام على النهضة العارمة التي حدثت في مجال التدوين والتأليف باللغة الفارسية في ذلك العصر والتي كان لها تأثير كبير في تغيير العادات والأعراف الخاطئة للإيرانيين.[4]

لذا، بغض النظر عن العوامل التي تسبّبت في انهيار الدولة الصفوية وزوالها،[5] وعن الصفات السيئة لرجالها، فإنّنا من خلال نظرة إجمالية لهذه الدولة سنكتشف أنّها كانت تنطوي على مثالب أقلّ قياسًا بالحكومات السابقة لها، وفي المقابل كانت لها مساهمات مشهودة في تطوير ونشر العلم والثقافة والدين والفن والآداب وغيرها. ناهيك عن أنّ مشاهير العلماء الإيرانيين قد برزوا في ظلّ هذه الدولة العتيدة على رأسهم العلامة البهابادي الذي يعدّ من أبرز الرموز الشيعية الخالدة، ويشكّل دليلًا دامغًا على بطلان مقولة أفول العلم والأدب في العصر الصفوي. لذا، ومتابعةً لهذا البحث سوف ننقل آراء سماحة قائد الثورة الإسلامية في الدولة الصفوية ليتبيّن لنا أنّ العصر الصفوي، بشكل عام، هو عصر الملا عبد الله والشيخ البهائي وصدر

---

[1]. منتخب أشعار الأسلوب الهندي، على رضا ذكاوتى، ص ٥، طهران، مركز، ١٣٧٢.

[2]. مقدمه ديوان عرفى شيرازى، ص ٣٤ إلى ٣٧. طهران، سنايى، ط. ٣، ١٣٦٩.

[3]. مدح داغ ننگ، ص ٤٧٧.

[4]. صفويه در عرصه دين و فرهنگ و سياست، رسول جعفريان، ج ٣، ص ١٠٩٧ إلى ١١٤٠.قم، معهد دراسات الحوزة والجامعة، ١٣٧٩.

[5]. أنظر: نشوء و سقوط الدوله الصفويه، إعداد: كمال السيد، ص ٢٨٦ إلى ٢٩٨، قم، باقيات، ط. ٢، ١٤٢٨هـ و چالش سياست دينى و نظام سلطانى، نجف لك زايى، ص ١٢٥ إلى ١٣٨. قم، أكاديمية العلوم والثقافة الإسلامية، ط. ٢، ١٣٨٦.

الدين الشيرازي والمحقق الكركي والعلامة المجلسي، وكان من أكثر العصور تألقًا وازدهارًا في تاريخ الحضارة الإسلامية.

الصفويون وتطور العلوم والآداب

«يقول فريق المستنيرين أنّ رجل الدين والكاتب والأديب والمعلم كانوا في صفّ مؤسسات الدولة - مثلاً كان ميرداماد يحضر مجالس الشاه عباس - وكان ذلك من أسباب انحطاط الثقافة والأدب والفلسفة والفن في ذلك العصر! هذا اعتقاد خاطئ. لم تشهد الآداب ازدهارًا كما شهدته في عصر الصفوية. لم يكن المرحوم جلال آل أحمد شاعرًا ولذلك لم يكن رأيه، بحسب اعتقادي، رأي خبير ملمّ بالحالة الشعرية. لقد ألقى الشعراء المخالفون للأسلوب الهندي آراء خاطئة في أذهان الناس وعلى ألسنتهم.

شاع الأسلوب الشعري الهندي في العصر الصفوي واستمرّ حتى العصر الزندي وأوائل العصر القاجاري، ثم جاء جماعة أخرى أطلق عليها اصطلاحًا «المجدّدون» والجمعية الأدبية بأصفهان، كانت هذه الجماعة تعارض الأسلوب الهندي بشدة. مع العلم أنّ أشعارها لم تكن تبلغ مستوى شعراء الأسلوب الهندي مطلقًا - كان البون شاسعًا بينهما- لكنّها كانت معارضة لهذا الأسلوب. منذ ذلك العهد بدأ الترويج لفكرة أنّ العصر الصفوي عصر انحطاط الشعر وسقوطه! صحيح أنّ شاعرًا كبيرًا مثل صائب لا ينتمي إلى العصر الصفوي.[1] إلّا أنّ شعراء على شاكلة كليم وعرفي وطالب آملي كانوا من أبناء ذلك العصر. شعراء قلّ نظيرهم في تاريخ الشعر، ظهروا في العصر الصفوي. يستعرض نصر آبادي في «تذكرة نصر آبادي»، تراجم حوالي ألف شاعر عاشوا في عصره في أصفهان.[2] تصوّر، مدينة بحجم أصفهان فيها ألف شاعر! طبعًا شعراء جيدون مجيدون، لا شعراء يلوكون الترّهات واللغو! ما تزال أشعارهم موجودة، وكتاب تذكرة نصر آبادي أيضًا موجود. أين

---

[1]. قصص الخاقانى، ولى قلى بيگ شاملو، ج ٢، ص ٦٢، طهران، ارشاد، ١٣٧٤.

[2]. يذكر نصرآبادى أصناف متعددة من الشعراء. تذكره نصرآبادى، ج ١، صص ٧ و٨. مطبعة اساطير، طهران، ١٣٧٨.

ومتى شهدنا مثل هذه الطفرة في تاريخنا الأدبي؟

في حقل الفلسفة أيضًا، ظهر صدر الدين الشيرازي أعظم فيلسوف عرفه تاريخ الفلسفة الإسلامية وقد عاش في العصر الصفوي. وكذلك مجايله الفيلسوف الشهير ميرداماد، كان من رموز ذلك العصر. وإذا ما استعرضنا أسماء المشاهير الذين ظهروا في عهد الدولة الصفوية فستطول القائمة، فهذا الفيض الكاشانى ـ العارف الشهير - وعبد الرزاق اللاهيجي المتكلم والفيلسوف الشهير. فمن أين لهم أنّ العصر الصفوي عصر انحطاط الشعر؟ كلا أبدًا لم يكن كذلك، بل كان عصر الازدهار وارتقاء الأدب والفن إلى القمة. طبعًا نعني بالأدب فرعه الشعري وليس النثري. النثر كان له نصيب من التطور ولكن ليس إلى حدّ القمة. كما تألّقت الأعمال الفنية وازدهرت في العصر الصفوي لا سيّما أعمال القاشاني والطُرُز المعمارية الرائعة. إنّك لن تعثر في مراحل التاريخ كافة، إلّا ما ندر، على تحف فنية معمارية تضاهي مسجد الشيخ لطف الله أو ساحة نقش جهان بأصفهان أو الأبنية والعمارات التي تفيض جمالًا وسحرًا وإبداعًا، كلّ هذه من إبداعات العصر الصفوي.

نعم، لم يكن الشعراء في العهد الصفوي يقفون على باب البلاط ليحصلوا على الصلات والجوائز، لستُ هنا بصدد الدفاع عن الصفويين. إنّنا لسنا على وفاق مع جميع الملوك، فالملك شرير في جوهره، لا يمكن للملك أن يكون طيبًا، الملكية أمر سيء، الملكية تعني المالكية، من ينعت نفسه ملكًا إنّما يدّعي لنفسه حق المالكية لشعبه بل، قل إن شئت، رعاياه. الملكية والسلطنة مرفوضة في الإسلام .. وهذا ينطبق على ملوك الصفوية فقد كانوا ملوكًا أيضًا ولا يجوز لنا الدفاع عنهم، ولكن إذا نظرنا من زاوية تاريخية، فإنّ الرأي القائل بأنّ العصر الصفوي عصر انحطاط الأدب والشعر، رأي خاطئ وغير صحيح على الإطلاق. إنّني ألاحظ أنّ هذا الرأي وعلى غرار ما كان في السابق، ما زال يتردّد صداه هنا وهناك، وفي الإذاعة والتلفزيون. أبدًا ليس الأمر كذلك، لم يكن العصر الصفوي عصر انحطاط. لم يأت بعد حافظ الشيرازي شاعر بعظمة

صائب تبريزي. ولم يأت بعد رودكي شاعر أنشد أشعارًا بحجم ما أنشده صائب، حيث يقدّر عدد الأبيات التي أنشدها ٢٠٠ ألف بيت شعر. طبعًا أقصد الشعراء المجيدون الذين يمكن أن نتباهى بشعرهم وندافع عنهم، أمّا أشباه الشعراء الذين لا تسمع منهم سوى لغوًا وثرثرة فهم كثر. لم تتوفر مدينة مثل أصفهان على هذا القدر من الشعراء والفنانين والفضلاء والفلاسفة والفقهاء. فمن أين لهم هذا الكلام؟»[١]

انتشار الحوزات العلمية في العهد الصفوي

تنقل المصادر التاريخية أنّ الملوك الصفويين قد أنشأوا مدرستين علميتين للملا عبد الله اليزدي في النجف الأشرف. وكذلك فعلوا لبقية علماء الدين في سائر المدن. وهذه مزية أخرى تحسب لهم ضمن الخدمات التي قدّموها خلال عهدهم: «على الرغم من مساعي البعض [مثل الدكتور شريعتي] في تشويه صورة الملوك الصفويين وإظهارهم بمظهر المعادين للشيعة والإسلام والقيم الدينية، وعلى الرغم من مثالب السلاطين الصفويين على صعيد الحكم والخصال الشخصية، إلّا أنّهم مع ذلك قدّموا خدمات عظيمة وخالدة لإيران والإسلام منها على سبيل المثال نشر الحوزات العلمية الشيعية في البلاد، وكان لهم الفضل في ازدهار الحوزات العلمية في أصفهان وخراسان وقم والنجف الأشرف وسائر المناطق الأخرى، ولو أنّنا تحرّينا هذا الموضوع سوف نجد أنّهم تركوا لنا مفاخر عظيمة وتراثًا قيّمًا في هذا المجال. فلو ألقينا نظرة على فقهاء الشيعة قبل العصر الصفوي لوجدنا عدد الإيرانيين بين هؤلاء الفقهاء لا يتجاز عدد أصابع اليد، ولكن بعد عصر الصفوية فإنّ ٩٠ في المئة تقريبًا من الفقهاء هم من الإيرانيين».[٢]

نقد على استبداد الحكومة الصفوية

«رجل واحد على رأس هرم السلطة والجميع يدينون له بالولاء والطاعة. وهذه المنظومة تدير دفة البلاد وترسم

---

١. حديث سماحة القائد مع جمع من طلاب جامعة طهران، ٢٢-٢-١٣٧٧.

٢. حديث سماحة القائد مع جمع من النخب الحوزوية،١٣-٩-١٣٧٤.

مصيره، ولا دور لآحاد الشعب في هذه الإدارة، فالبلاد ملك لهذه المنظومة الحاكمة».[1] «إذا كان السياسي لا ينظر إلّا إلى مصالحه، وتنمية ثرواته، وإشباع غرائزه وشهواته ولا يهتم لمشاكل الشعب ومعاناته لئلا يؤثّر ذلك على رفاهيته وترفه، فهذه البلاد ستتجه نحو الدمار والخراب لا محالة؛ والدليل على ذلك سقوط السلالات الملكية المتعاقبة الواحدة تلو الأخرى. كانت الدولة الصفوية على قدر كبير من الاقتدار والقوة، وهو ما حملها إلى تسلم زمام الحكم؛ ولكن بعد نفوذ الضعف إلى مفاصلها وغلبة الخصوصيات السيئة التي ذكرنا عليها آل مصيرها إلى الذي تعرفون، والعهد القاجاري كان أسوأ عاقبة، والعهد البهلوي أسوأ من الجميع».[2]

«ملوك الصفوية مدعاة للفخر والمباهاة - تعلمون أنّنا نكنّ لهؤلاء الملوك احترامًا ووزنًا، لأنّهم كانوا أتباع مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) وحماة استقلال إيران وسيادتها الوطنية - ولكن مع ذلك فقد قرأنا في التاريخ عن الشاه عباس الصفوي أشهر ملوك الصفوية وعن الظلم الذي جرى على يديه والاستبداد الذي مارسه. لقد قتل عددًا كبيرًا من أقاربه وسمل أعينهم، حتى اضطر بعض الأشخاص إلى إخفاء عدد من الأمراء الصفويين عن أعين الشاه! على سبيل المثال، أمر بقطع رؤوس أربعة من أبناء امام قلي خان ووضع هذه الرؤوس أمامه، مع العلم أنّ قلي خان هذا كان من الرجال الذين خدموا الدولة الصفوية خدمات عظيمة؛ كان من الخدم القدماء للصفوية وأحد القوّاد والساسة في الدولة الصفوية؛ ولكن بسبب طغيان الشاه عباس واستبداده ارتكب هذه الفظائع. لذلك، فالظلم والجور ليس حكرًا على محمد ر ضا ورضا خان فقط، بل إنّ الظلم خصلة متأصلة في عقيدة الملكية، الظلم الناجم عن الاستبداد والسلطة المطلقة المنفلتة من أيّ مسؤولية أو التزام إزاء الله أو الشعب. وهو ما دعا إلى قيام النظام الإسلامي في مقابل أيديولوجية

---

[1]. حديث سماحة القائد مع جمع من مسؤولي النظام، ٣١-٦-١٣٨٦.

[2]. حديث سماحة القائد خلال لقائه جمع من النخب العلمية، ١٣-٧-١٣٩٠ ؛ و حديث ولايت، ج ٨، ص ٢٠٩، طهران، منظمة الإعلام الإسلامي، ١٣٧٧.

الملكية الاستبدادية».[1]

كثرة العلماء الإيرانيين

«بعد المحقق الأردبيلي كان مشاهير العلماء والفقهاء الشيعة، بشكل عام، إيرانيين، والنصيب الأكبر من هذا الشرف يحظى به عصر ملوك الصفوية، لذا، وعلى العكس من الذين يشوّهون سمعة الصفويين في أعين الناس ويصغّرون من شأنهم، فإنّني أؤكّد على أنّ هذه السلالة لها الفضل الأكبر على العلم والفقه والكلام الشيعي؛ فملوكها كانوا الرواد في فتح هذا الطريق والأخذ بيد العلماء على طريق العلم والإبداع ... فالمرحوم المقدس الأردبيلي جعل من النجف الأشرف متكًأ له وقاعدة علمية رصينة وهذه إحدى الخصوصيات التي ميّزته؛ وما تزال هذه المدينة هي الحاضرة العلمية الأهم، وفي عصر الشيخ الأنصاري بلغت ذروة التألق والازدهار. لقد قدّم المرحوم المقدس الأردبيلي فقهًا عميقًا ودقيقًا وعلى درجة تامة من العلمية والتحقيق، وهو ما جعل منه شخصية عظيمة وبارزة».[2]

تشجيع الصفويين على طلب العلم

«في القرون الثلاثة الأخيرة تخلّفنا، للأسف، عن ركب العلم والحضارة كثيرًا، فكانت الخطيئة الكبرى التي ارتكبها الحكام طوال هذه القرون الأخيرة الماضية أنّهم دفنوا المواهب الخلاقة. ولدينا أمثلة كثيرة على هذا النهج. طبعًا كانت الأمور على صعيد العلم والمعرفة على ما يرام حتى أواخر العهد الصفوي وربما بعده بقليل أيضًا حيث توجد بعض الأمثلة التي تشير إلى ظهور علماء كبار في تلك الفترة، ولكن بعد ذلك بدأت مسيرة الانحطاط العلمي بشكل تدريجي. ويمكن أن نسرد أمثلة كثيرة على ذلك ونأتي عليها الواحدة تلو الأخرى

---

[1]. حديث سماحة القائد خلال لقائه مع الشباب في محافظة أصفهان١٢-٨- ١٣٨٠ش.

[2]. حديث سماحة القائد خلال لقائه أعضاء المجلس الأعلى لمؤتمر تكريم العلامة المقدس الأردبيلي؛ ٣٠-٣- ١٣٧٥ش.

وفي مختلف الميادين والمجالات، ومنها مجال العمران».[1]

وجوب تكريم عظماء إيران ومنهم عظماء العصر الصفوي

«السنّة الحسنة المتمثلة في تكريم الشخصيات العلمية البارزة في تاريخ الشيعة هي من أفضل السنن وأكثرها نفعًا وبركة. في الحقيقة، لقد برزت في مراحل معينة من التاريخ الزاهر للثقافة والعلوم الإسلامية رجال عظام ومؤثرين لا يعرف جيلنا العلمي والثقافي الراهن عنهم شيئًا، ولذلك فهو محروم من الانتفاع بآثارهم العلمية وأفكارهم الرصينة. في عصور التألّق العلمي للحوزات العلمية سواء في النجف الأشرف وكربلاء أو في أصفهان وبعض المدن الأخرى في العهد الصفوي برزت مجموعة من عظماء الفقهاء والعلماء والفلاسفة والمتكلمين، وكل منهم شكّل قدوة عظيمة ومفيدة يمكن أن تقتدي بها محافلنا العلمية في الوقت الحاضر ولا سيّما الباحثون وطلاب العلم في الحوزات العلمية. والخصوصية المميّزة لهؤلاء العلماء المغمورون كانت في الغالب، جامعيتهم وشموليتهم المدهشة في مختلف العلوم مثل الفقه والفلسفة والتفسير والعلوم الرياضية والشعر والأدب. هذا التنوّع في العلوم الذي يشي بالآفاق العلمية الرحبة في الحوزات العلمية يعكس العقل المبدع والخلاق والفكر الثاقب والموهبة العظيمة لأولئك العظماء».[2]

تعاظم العزّة الإيرانية في العهد الصفوي

«بعد العهد السلجوقي وقبل وصول الملوك الصفويين إلى الحكم كان كل قسم في إيران ينحى منحى مغايرًا عن الآخر، وكانت عزّة إيران وعظمتها في تلك الفترة في مهب الريح، حتى بزغت شمس الدولة الصفوية من أردبيل واستطاع الأحفاد العرفاء المجاهدين والمناضلين للشيخ صفي الدين الأردبيلي توحيد البلاد واستعادة مجدها وعظمتها، فقدّم أبناء هذه الأسرة صورة مشرّفة عن الأمة الإيرانية للعالم في تلك الفترة، أمّة متحدة

---

[1]. حديث سماحة القائد خلال لقائه النخب العلمية١٩-٧- ١٣٧٨ش.

[2]. رسالة إلى مؤتمر تكريم الباحثين: آغا حسين، آغا جمال، آغا رضى خونسارى؛ ٢٩-٦- ١٣٧٨ش.

مقتدرة مرهوبة الجانب ومتطورة.

تمّ تشويه صورة الأسرة الصفوية في عهد الحكومة القاجارية والحكومة البهلوية، ولأسباب معينة تعرّضت مدينة أردبيل للإهمال والنسيان. وبالمقدار الذي كان الملوك الصفويون يهتمّون بأردبيل، بنفس المقدار أهمل الحكام في العهد القاجاري ومن بعدهم العهد البهلوي هذه المدينة البعيدة والحدودية. لذلك نجد هذه المدينة الخضراء الخصبة والزاخرة بالمواهب الخلاقة والخيرات الزراعية والقدرات الصناعية والتي تحظى بإمكانات واسعة للتبادل التجاري مع الخارج، نجدها اليوم واحدة من المناطق المحرومة والفقيرة، لماذا؟ لأنّ بعض الحكام بعد العهدالصفوي أراد أن ينتقم من هذه المدينة ومن شعبها وقبائل القزلباشي في تلك الأيام كانت صدورهم موغرة ضدّ هذه المنطقة وبالخصوص ضدّ أردبيل».[1]

الصفويون وإزالة مناخ الرعب

«مشاهير العلماء الذين عاشوا قبل العهد الصفوي - مثل الشهيدين والمحقق الكركي وغيرهم- عانوا من الظلم والاستبداد. لقد استطاعوا أن يحافظوا على أنفسهم، أعني أن يجدوا موقعهم الحقيقي. أين كان موقعهم الحقيقي؟ إلى جانب الشعب الشيعي المضطهد. كانا بمقدورهم أن ينفصلوا عن الشعب ويعيشوا عيشة مريحة دون معاناة، لكنّهم لم يفعلوا ذلك أبدًا، وظلوا إلى جانب الشعب حتى وقع التحول الكبير بمجيء الدولة الصفوية فتحرّر العلماء وكسروا الأغلال والقيود التي كانت تكبلهم فانتقلوا إلى فضاء أرحب».[2]

العلماء وعدم التفريط باستقلال الحوزات

«في الوقت الذي كانت الدولة الصفوية تبسط سلطانها على أرجاء إيران وكان علماء أفذاذ مثل المحقق الكركي ووالد الشيخ البهائي ومشاهير آخرون كثر يتوافدون على إيران ويشغلون مناصب دينية رفيعة لم يخضع هؤلاء

---

[1]. خطاب سماحة القائد في حشد من الناس بمحافظة أردبيل، ٣-٥-١٣٧٩ش.

[2]. حديث سماحة القائد خلال لقائه مجموعة من رجال الدين بمحافظة كرمان، ٢٠-٨- ١٣٧٠ش.

العلماء ولا تلاميذهم للسياسة الصفوية، أو يتخلّوا عن استقلالية قرارهم، نعم، كانوا يقدّمون الدعم والإسناد للدولة الصفوية ويتعاونون معها ويمتدحونها ويعظّمون شأنها، لكنّها لم يسمحوا لأنفسهم أن يكونوا تابعين لها أو في قبضتها أو طوع أمرها. واستمرّ هذا الوضع على هذا المنوال حتى شطر من عمر الدولة القاجارية».[1]

نتيجة البحث

يتّضح من المباحث المتقدمة أعلاه أنّ ثمّة زعم كان متداولًا في أوساط المثقفين والمتنورين يقول بأنّ العلاقة بين الدولة الصفوية وأوضاع العلم والفن والأدب في ذلك العصر لم تكن على أفضل وجه، بل إنّ هذه العلوم والمعارف شهدت انحطاطًا وأفولًا في عهد هذه الدولة، ولم يظهر خلال تلك الفترة أيّ عالم كبير، ولكن في مقابل هذا الزعم وبالاستناد إلى النصوص التاريخية والتراث الذي وصلنا من تلك الحقبة بمقدورنا أن نفنّد هذا الزعم ونجزم بخطأه، ونذكّر بظهور علماء كبار في ذلك العصر من أمثال الملا عبد الله البهابادي وأساتذته مثل المحقق الثاني وتلاميذه كالشيخ البهائي. كما يتسنى الرجوع إلى الآراء الإيجابية والمنصفة التي صرّح بها سماحة قائد الثورةالإسلامية حول العصر الصفوي لتفتح الطريق إمام إنجاز دراسات جديدة في إطار تسليط الضوء على مفاخر إيران الإسلامية في العصر الصفوي.

---

[1]. حديث سماحة القائد خلال لقائه بالطلبة والأفاضل في الحوزة العلمية بقم، ٢٩- ٧- ١٣٨٩ش.

نهج الملا عبد الله البهابادي اليزدي في الإدارة والحكم

الدكتور حسن عبدي پور

مقدمة

تاريخ الحضرة العلوية المطهرة

يُعزى شرف مدينة النجف الأشرف وقدسيتها إلى وجود الحرم الطاهر لمولى المتّقين الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) فيها، وكان الإمام (ع) قد أوصى أن يُوارى جسده الطاهر في البقعة الحالية في قبر كان النبي نوح (عليه السلام) قد هيّأه له. بعد استشهاد الإمام (ع) بقي قبره الشريف مخفيًا عن أنظار الناس لمدة طويلة، حتى كشف الإمام الصادق (ع) عن مكانه في سنة ١٣٢هـ أي بعد ٩٠ سنة من استشهاده (ع). اعتنى سلاطين آل بويه بمدينة النجف والمرقد الطاهر للإمام أمير المؤمنين (ع) وقاموا بأعمال عمرانية كثيرة على القبر الشريف، كما اختاروا أشخاصًا لخزانة الحرم الطاهر وتولّي سدانته وخصّصوا لهم حقوقًا ورواتب.

النقابة و النقباء في النجف في عهد العلامة البهابادي اليزدي[1]

أراد الملك البويهي معزّ الدولة أحمد بن بويه[2] أن يجعل للعلويين مكانة خاصة، فأسّس لهم نقابة لإدارة شؤونهم. وللنقابة فروع في النجف والكوفة وكربلاء والحلّة.

ثمّ كثرت الفروع فكانت في البصرة والموصل. وكان نقيب النقباء في بغداد.

وأوّل نقيب نصّبه معزّ الدولة هو الشريف حسين والد السيّدين الرضي والمرتضى، وكانت النقابة النجفيّة تضمّ الكوفة، وربّما كانت مضمومة إلى نقابة الحلّة.

والنقيب في اللغة هو كالعريف على القوم، المقدّم عليهم، الذي يتعرّف أخبارهم، وينقّب عن أحوالهم أي يفتّش. وكان النبي صلّى الله عليه و آله قد جعل ليلة العقبة كلّ واحد من الجماعة الذين بايعوه بها نقيبا على قومه وجماعته، ليأخذوا عليهم الإسلام ويعرّفوهم شرائطه، وكانوا اثني عشر نقيبا كلّهم من الأنصار،

---

[1] : تاريخ النجف الأشرف المؤلف : عبد الزراق حرز الدين ج: ١ صفحه : ٢٢١

[2] ستأتي ترجمته في أحداث سنة ٣٣٤ هـ، في الجزء الثاني من كتابنا.

وكان عبادة بن الصامت منهم. [1]

ثمّ توسّع معنى النقابة بعدما أسّست في العهد البويهي.

قال أبو الحسن الماوردي المتوفى سنة ٤٥٠ هـ: النقابة موضوعة على صيانة ذوي الأنساب الشريفة عن ولاية من لا يكافئهم في النسب، ولا يساويهم في الشرف، ليكون عليهم أحبى وأمره فيهم أمضى، وهي على ضربين: خاصة وعامة.

أما الخاصّة فهو أن يقتصر بنظره على مجرّد النقابة من غير تجاوز لها إلى حكم و إقامة حدّ، فلا يكون العلم معتبرًا في شروطها.

ويلزمه في النقابة على أهله من حقوق النظر اثنا عشر حقّا:

١ – حفظ أنسابهم من داخل فيها وليس هو منها، أو خارج عنها وهو منها، فيلزمه حفظ الخارج منها كما يلزمه حفظ الداخل فيها ليكون النسب محفوظا على صحّته معزوّا إلى جهته.

٢ – تمييز بطونهم ومعرفة أنسابهم، حتى لا يخفى عليه منهم بنو أب، ولا يتداخل نسب في نسب، ويثبتهم في ديوانه على تمييز أنسابهم.

٣ – معرفة من ولد منهم من ذكر أو أنثى فيثبته، ومعرفة من مات منهم فيذكره، حتى لا يضيع نسب المولود إن لم يثبته، ولا يدّعي نسب الميت غيره إن لم يذكره.

٤ – أن يأخذهم من الآداب بما يضاهي شرف أنسابهم وكرم محتدهم، لتكون حشمتهم في النفوس موقورة وحرمة رسول الله صلّى الله عليه وآله فيهم محفوظة.

٥ – أن ينزّههم عن المكاسب الدنيئة، ويمنعهم من المطالب الخبيثة، حتى لا يستقل منهم مبتذل، ولا يستضام منهم متذلّل.

٦ – أن يكفّهم عن ارتكاب المآثم، ويمنعهم من انتهاك المحارم، ليكونوا على الدين الذي نصره أغير، وللمنكر الذي أزالوه أنكر، حتى لا ينطق بذمهم لسان، ولا يشنأهم إنسان.

٧ – أن يمنعهم من التسلّط على العامة لشرفهم و التشطّط عليهم لنسبهم فيدعوهم ذلك إلى المقت والبغض، ويبعثهم على المناكرة والبعد، ويندبهم إلى استعطاف القلوب وتأليف النفوس، ليكون الميل إليهم أوفى والقلوب لهم أصفى.

٨ – أن يكون عونًا لهم في استيفاء الحقوق، حتى لا يضعفوا عنها، وعونًا عليهم في أخذ الحقوق منهم حتى لا يمنعوا منها، ليصيروا بالمعونة لهم منتصفين، وبالمعونة عليهم منصفين.

---

[1] لسان العرب: مادة (نقب) .

٩–أن ينوب عنهم في المطالبة بحقوقهم العامة في سهم ذوي القربى في الفيء والغنيمة الذي لا يخص به أحدهم حتى يقسم بينهم بحسب ما أوجبه الله لهم.

١٠–أن يمنع إياماهم أن يتزوّجن إلاّ من الأكفاء، لشرفهنّ على ساير النساء صيانة لأنسابهن، وتعظيمًا لحرمتهن.

١١–أن يقوم ذوي الهفوات منهم فيما سوى الحدود بما لا يبلغ به حدّا، ولا ينهر به دما، ويقيل ذا الهيئة منهم عثرته، ويغفر بعد الوعظ زلّته.

١٢–مراعاة وقوفهم بحفظ أصولها وتنمية فروعها، وإذا لم يرد إليه جبايتها راعى الجباة لها فيما أخذوه وراعى قسمتها إذا قسموه و ميّز المستحقّين لها إذا خصّت، وراعى أوصافهم فيها إذا شرطت، حتى لا يخرج منهم مستحق، ولا يدخل فيها غير محق.

و النقابة العامّة، فعمومها أن يرد إلى النقيب في النقابة عليهم مع ما قدمناه من حقوق النظر خمسة أشياء.

١–الحكم بينهم فيما تنازعوا فيه.

٢–الولاية على أيتامهم فيما ملكوه.

٣–إقامة الحدود عليهم فيما ارتكبوه.

٤–تزويج الأيامى اللاتي لا يتعين أوليائهن أو قد تعينوا فعضلوهن.

٥–إيقاع الحجر على من عته منهم أو سفه، وفكّه إذا أفاق ورشد. فيصير بهذه الخمسة عام النقابة فيعتبر حينئذ في صحة نقابته وعقد ولايته أن يكون عالما من أهل الاجتهاد ليصح حكمه، وينفذ قضاؤه.[١]

و كان لنقيب النجف الأشرف تولية إمرة البلد والمرقد المطهّر، وبيده تعيين السادن للروضة المطهّرة. وهو ما أشار له الرحّالة ابن بطوطة عند ما مرّ بها في القرن الثامن الهجري سنة ٧٢٦ هـ، حيث ذكر أنّ النقيب كان يحكمها بإدارته، و لم يذكر حكومة للنجف و لا محل حكومة في ذلك العصر،[٢] واستمر هذا الحال حتى أواخر القرن العاشر للهجرة النبوية، ثمّ ضعفت إمرة النقيب، ثمّ بعد فترة جرّد عن كلّ سلطة سوى الاسم، وذلك أنّ الشاه طهماسب لمّا جاء إلى العراق وزار المشهد الغروي الأقدس ومعه الملاّ عبد الله بن شهاب الدين حسين اليزدي الشهابادي المتوفى سنة ٩٨١ هـ، ولاّه سدانة الحرم الشريف والإشراف على البلد، ومن هنا شلّت يد النقيب عن سلطة البلد، وإلى هذا المعنى يشير الشيخ محمد السماوي النجفي في أرجوزته:

لكنّ هذا المعشر النجيبا # لا ينتجي في أمره نقيبا

---

[١] الأحكام السلطانية: ٨٢–٨٥.

[٢] رحلة ابن بطوطة: ٢٠٠.

بل يجعل الأمر مع السدانة # لنفسه ولا يرى إذعانه
لأنّ عقد النقباء انحلاّ # في ذلك العصر الذي تولّى
وبقى اللفظ من النقابة # بغير معنى يكتسي ثيابه
فكم نقيب نال تلك اللفظة # ولم يجد إلاّ بتلك حظّه
كالمصطفى وكابنه العباس # وكمراد ذي الندى والباس
حتى أتى آل الرفيع فقضى # من حكمه المطاع في فوز
فنالها نقابة سدانة # ثمّ الجواد قد رضى مكانه [1]

سنة ٩٤٢ هـ ١٥٣٥ م الشاه طهماسب يزور النجف

فيها زار الشاه طهماسب الأوّل بن الشاه إسماعيل الأوّل الصفوي مرقد أمير المؤمنين (عليه السّلام) في النجف الأشرف، و أمر بحفر نهر من الحلّة لشرب ساكني النجف المجاورين ماء الفرات، فحفر من فوق نهر التاجيّة من جهة الغرب على الطريق السائر إلى قرية نمرود من الحلّة، فامتدّ طوله مقدار ستّة فراسخ في عرض عشرة أذرع، و لكن لم يصل الماء إلى النجف رأسا لارتفاع أرضها عن مجرى الماء، و بينه و بين نهر التاجيّة ما يقرب من ميل أو أقل، و كان يعرف بـ"نهر الطهماسيّة"، و هو الآن عليه المزارع و العشاير العراقية.

قال السيّد البراقي: و قد حدث نهر الشاه هذا بعد نهر التاجيّة، فبعد تطاول السنين و الأعوام طمّ نهر التاجيّة و آل إلى الخراب، فأصدر الشاه طهماسب الأوّل في سنة ٩٤٣ هـ الأمر بحفر نهر من الفرات إلى الكوفة ثمّ إلى النجف الأشرف، غير أنّه لم يتوفّق لذلك، فقد وصل الحفر إلى المكان المعروف بـ"النمرود"و وقف العمل، و يعرف اليوم بـ"نهر الطهمازيّة.[2]

والسدانة منصب يقلّده السلطان ويكتب به عهدًا، والظاهر أنّ ابتداءها كان بالمشهد الغروي في عهد البويهيين في القرن الرابع الهجري. وسمّي السادن في أواخر القرن الثالث عشر الهجري بـ"الكليتدار"وهي كلمة فارسيّة معناها"صاحب المفتاح" أي من بيده مفتاح الحضرة الشريفة.

ومنصب السدانة والكليتدارية في المشهد الغروي يشمل جميع ما يؤول إلى الحضرة الشريفة من رئاسة الخدمة وتولّي خزانة المشهد وغير ذلك من شؤون، لهذا يعبّر عنه كثيرًا بالخازن، وقد تولاّها في المشهد الغروي جماعة من أجلاء العلماء.

---

[1] عنوان الشرف في وشى النجف: ٨١.

[2] تاريخ النجف الأشرف، المؤلف : عبد الزراق حرز الدين جلد : ٢ صفحه : ٢٦٩ تحفة العال تاريخ الكوفة: ١٧٨م: ٢٩٢/١.

وفي كثير من الأوقات كان السادن في النجف الأشرف هو الحاكم المطلق بسبب ضعف إدارة السلطان، وإذا قوي السلطان كان إلى السادن شؤون المشهد المطهّر فقط.

والسدانة يتوارثها الأبناء عن الآباء كالسلطنة، وقد تنتقل عنهم كما تنتقل السلطنة.

سدانة وخزانة حرم أمير المؤمنين (عليه السلام)

كما مرّ علينا فإنّ عضد الدولة البويهي كان أول من عيّن خازنًا للحرم الطاهر للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ليقوم بالمحافظة والإشراف على الحرم وشؤون العتبة العلوية الطاهرة وإدارة الأوقاف وغير ذلك. وقد أدّى ذلك إلى إضفاء صفة رسمية على منصب «خزانة الحرم العلوي المطهر» والذي يعبّر عنه أيضًا بمنصب السدانة.

ونظرًا لأهمية الحرم العلوي المطهر ومكانته العظيمة كان الخازن أو السادن يعيّن بأمر من السلطان أو استنادًا إلى تزكية العلماء، وكان هذا المنصب ينتقل في أسرة الخازن من الآباء إلى الأبناء وذلك بحسب الأهلية العلمية والعملية للأشخاص. كما كان العلماء الأفاضل يشرفون على عمل السادن أو الخازن، وإذا ما فقد الخازن أهليته في إدارة العتبة المقدسة كانوا يسلبونه هذا المنصب ليولّوا غيره. كما حدث مع الملا محمود بن الملا يوسف الذي عُزل من منصب الخازن بسبب فقدانه الأهلية.

من بين سدنة الحرم العلوي الطاهر اشتهرت ثلاث أسر بتولّي هذا المنصب وهي:

أ) آل شهريار؛ ومن أشهر أفرادها الذين عُرفوا بالعلم والفقه: أبو طاهر عبد الله بن أحمد بن شهريار، أبو عبد الله محمد بن أحمد شهريار، أبو طالب حمزة بن محمد، و علي بن حمزة بن محمد بن شهريار.

ب) بيت الملالي (أسرة الملا عبد الله اليزدي "رحمه الله")؛ كان الملا عبد الله اليزدي "رحمه الله" أول شخص في الأسرة يتولّى سدانة الحرم الغروي الطاهر. عُيّن بهذا المنصب في عهد الشاه طهماسب الصفوي. وتولّى المنصب من بعده أبنائه وذريته. يقول السيد حسن الصدر عن هذه الأسرة:

و هؤلاء بيت الملّا المشهورين في النجف، ذرّية المولى عبد الله اليزدي. كانت فيهم خازنية الحرم الشريف متلقّاة من جدّهم المولى عبد الله اليزدي إلى زمن المولى يوسف فأخذت منهم بعد موته و انتقلت إلى السادات الأشراف الرفيعيّة الموسويّة، أولهم السيد رضا الشهيد.

ستأتي أسماء مشاهير هذه الأسرة في مبحث مستقل.

ج) آل الرفيعي؛ السيد رضا بن السيد محمد هو أول سادن للعتبة العلوية المقدسة من هذه الأسرة والذي عُيّن من قبل العلامة كاشف الغطاء "رحمه الله". قُتل في عام ١٢٨٥هـ. ومن مشاهير سدنة العتبة العلوية المقدسة من هذه الأسرة نذكر: السيد جواد، السيد محمد حسن، السيد أحمد والسيد عباس.

واجبات سدانة الحرم العلوي الطاهر

سدنة الحرم العلوي الطاهر أشخاص اشتهروا بالأمانة والعلم والفضل والصلاح، وكانت مهمتهم الأولى متابعة شؤون الحرم الطاهر، وتعدّ إدارة أوقاف الحرم، والقيام بالتعميرات اللازمة للمرقد المطهر من أهم واجبات السدانة، ومن ثمّ، في ضوء قدرات واستعدادات الخازن، توكل إليهم مهام أخرى، منها إدارة المدينة، بل وأكثر من ذلك، يحمل السادن صفة حاكم وأمير المدينة، كما هو الحال مع السيد محمد كمونة الذي بالإضافة إلى توليه أمور النجف، كان أميرًا على بعض المناطق في العراق، وكذلك الحال مع بعض الأفراد من أسرة الملا عبد الله اليزدي "رحمه الله" الذين كانوا يتمتّعون بهذه الصلاحيات الواسعة، ومن بينهم الملا سليمان بن الملا محمد طاهر.

تبنّي العلامة البهابادي اليزدي الخطاب الحواري لأهل البيت (ع) مع أهل السنّة في تولّيه السدانة وحكم النجف

على العكس من سياسات بعض الدول مثل دولة بني أمية وبني العباس، مثّل أهل البيت (ع) على مرّ التاريخ محور الوحدة والتقريب بين المذاهب الإسلامية.

تبلور الوحدة بين المسلمين رهنٌ بمعرفة المحاور المشتركة بين الفرق والمذاهب الإسلامية، والتي تشكّل عوامل الوحدة وأركانها، وهذه المحاور هي:

أ) الإيمان بوحدانيّة الله وعبادته.

ب) الإيمان برسل الله ولا سيّما خاتم الأنبياء (ص).

ج) الاعتقاد بالمعاد ويوم البعث.

د) الاعتقاد بكتاب سماوي واحد، أعني القرآن الكريم، والاعتقاد بحقيّته وصدق حديثه.

هـ) الاشتراك في الكثير من الأعمال العبادية مثل الصلاة والصوم والحج والزكاة وغير ذلك.

سيرة أهل البيت (عليهم السلام) في خلق الوحدة بين المسلمين

أ) سياسة الصبر والصمت

ب) حل الخلافات الحقوقية بين المسلمين

سجل أهل البيت (عليهم السلام) في مسألة الوحدة الإسلامية ودعوة المجتمعات الإنسانية إلى التعاضد والتآلف والتلاحق الفكري والتعاون على أساس التوحيد والعدل، سجل مشرق وحافل بالمآثر والإنجازات

الكبرى، وفي هذه الأثناء تبرز أمامنا سيرة الإمام الصادق (ع) الكلامية والسلوكية في المجالات المذكورة أدناه والتي تبيّن دور هذا الإمام الهمام في لمّ شمل المسلمين ووحدتهم:

١. وصايا الإمام الصادق (عليه السلام) لشيعته بالتقية.

٢. الإمام الصادق (عليه السلام) وحل الاختلافات الفكرية لشيعة أهل البيت (عليهم السلام).

٣. الإمام الصادق (عليه السلام) وتقديم الحلول للخلافات الحقوقية للشيعة.

٤. تأكيد الإمام الصادق (عليه السلام) على مبدأ التعايش والمداراة مع أهل السنّة وجميع الفرق الإسلامية.

٥. تأكيد الإمام الصادق (عليه السلام) على صلاة الجمعة والجماعة والأعياد الإسلامية.

٦. الإمام الصادق (عليه السلام) وتعاطيه الحَذِر مع رجال السلطة العباسية وتمهيده للجهاد الثقافي الكبير.

من بين السياسات الحكيمة لهذا الإمام الهمام أنّه كان يأمر المفضّل بن عمر بالإنفاق من الأموال الشرعية لحل الخلافات بين شيعة أهل البيت (عليهم السلام) وإرساء مفاهيم الوحدة والأخوة بينهم.[١]

التعايش السلمي والمداراة مع أهل السنّة وسائر الفرق الإسلامية

ما هو الواجب الشرعي للشيعة في التعامل مع الأخوة من أهل السنّة؟ هل ينبغي محاربتهم والإساءة إلى معتقداتهم ومقدساتهم؟ أم ثمّة طرق أخرى أوصى أهل البيت (عليهم السلام) شيعتهم بها؟ هناك دائمًا أفراد متطرّفون في أوساط الشيعة وأهل السنة يسعون إلى إشعال نار الفتن المذهبية. وفي المقابل آمن الشيعة وأهل السنّة على مرّ التاريخ بالتعايش والوئام.

في ضوء هذه الظاهرة الاجتماعية سأل معاوية بن وهب الإمام الصادق (عليه السلام): كَيْفَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَصْنَعَ فِيمَا بَيْنَنَا وَ بَيْنَ قَوْمِنَا وَ بَيْنَ خُلَطَائِنَا مِنَ النَّاسِ مِمَّنْ لَيْسُوا عَلَى أَمْرِنَا؟[٢]

فأجاب الإمام الصادق (عليه السلام): «تَنْظُرُونَ إِلَى أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تَقْتَدُونَ بِهِمْ فَتَصْنَعُونَ مَا يَصْنَعُونَ فَوَ اللَّهِ إِنَّهُمْ لَيَعُودُونَ مَرْضَاهُمْ وَ يَشْهَدُونَ جَنَائِزَهُمْ وَ يُقِيمُونَ الشَّهَادَةَ لَهُمْ وَ عَلَيْهِمْ وَ يُؤَدُّونَ الْأَمَانَةَ إِلَيْهِم».

الدعوة إلى الوحدة في المجتمع الإسلامي والتأكيد عليها

تتّضح لنا مبادئ ومحاور الوحدة الاجتماعية في سيرة الإمام الرضا (عليه السلام) من خلال مطالعة التعاليم العقدية والسلوكية لهذا الإمام الرؤوف (عليه السلام) الذي لم يُوفّق في التصدّي لأمر الحكومة،

---

١. محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٢٠٩.

٢. المصدر نفسه، ج ٢، ص ٦٣٦.

ولكن مع ذلك كانت أهم سياساته التي تعدّ من أساسيات الحكومة الرشيدة إدارة شؤون المجتمع على أساس الوحدة بين أفراده، وكذلك المعاملة الطيبة الرحيمة مع الرعايا غير المسلمين وتقريبهم من بعضهم البعض. فمن وجهة نظر الإمام الرضا (عليه السلام)، لمّا كان الإنسان كائنًا اجتماعيًا يعيش في كنف المجتمع، فإنّه بحاجة إلى إقامة أفضل العلاقات مع سائر أفراد المجتمع الذي يعيش فيه لتسيير شؤون حياته وتحقيق أهدافه، حتى يتمكّن من الحصول على النتائج المرجوة التي يسعى إليها، ولا يتسنّى له ذلك إلّا بالوحدة والتآلف والتقارب.

المعاملة الطيبة مع الآخرين وعدم الإساءة إلى مقدساتهم

اللغة الحوارية الطيبة هي إحدى الطرق الكفيلة بخلق الوحدة والمحبة وجذب الآخرين والتمتّع بعلاقات مؤثّرة. يوصي القرآن الكريم المؤمنين بالتحلّي بطيب الكلام ويحذّر من أنّ بذاءة اللسان وسلاطته هي من أخلاق الشياطين، ومدعاة للفرقة والانفصام بين أفراد المجتمع، ولذلك حرّم صراحة الإساءة إلى أتباع الأديان والمذاهب الأخرى حيث يقول تعالى:

(وَ لا تَسُبُّوا الَّذينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ).[1]

وكان الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) يوصي أصحابه في صفين بألّا يكونوا سبّابين لأعدائهم:

«إِنِّي أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ وَ لَكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ وَ ذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ كَانَ أَصْوَبَ فِي الْقَوْلِ وَ أَبْلَغَ فِي الْعُذْرِ».[2]

ومن المعروف أنّ الخوارج كانوا من ألدّ أعداء الإمام علي (عليه السلام)، ولكن بحسب حديث للإمام الباقر (عليه السلام) لم يحدث أبدًا أن رمى الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) هذه الفرقة بالكفر أو الشرك أو النفاق بل كان يقول: «هُمْ إِخْوَانُنَا بَغَوْا عَلَيْنَا»[3]

تحمّل معتقدات الآخرين وعدم تكفير المخالفين

يعمل الإنسان بحسب ما تمليه عليه معتقداته وآرائه، ويجهد بالدفاع عنها. فكل أعمال بني آدم تجري على أساس العقيدة، سواء أكانت صحيحة أم خاطئة. يقول الله تعالى في كتابه الكريم عن المشركين الذين يستجيرون بالمسلمين: (وَ إِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكينَ اسْتَجارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ).[4]

---

[1] . سورة الأنعام، آية ١٠٨.

[2] . نهج البلاغة، الكلمة ٢٠٦.

[3] . الحميرى، قرب الاسناد، ص ٤٥؛ الشيخ الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ١٥، ص ٨٣.

[4] . سورة التوبة، آية ٦.

لقد نشط أعداء الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في الفترة من عصر الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) إلى الإمام زين العابدين (عليه السلام) وكانت دعايتهم قد شهدت ذيوعًا كبيرًا بين الناس، ومع ذلك كان كلام الأئمة في مقابل هذه الدعايات على النحو الذي ذكرنا في أعلاه. من الواضح أنّ القضايا الأساسية في الإسلام عبارة عن الشهادة بوحدانية الله ورسالة نبيه الأكرم (ص) والإيمان بعقيدة المعاد وغيرها من العقائد، وكل ما سوى ذلك بما في ذلك الإيمان بولاية الأئمة (عليهم السلام) لا يدخل في صلب الإسلام، ولذلك تعدّ الإمامة من أصول المذهب وليس الدين. [1]

والمحصلة:

أنّ الوحدة هي من أهم التعاليم الواردة في القرآن الكريم ومن الوصايا المؤكّدة للنبي الأكرم (ص) وأهل بيته الأطهار (عليهم السلام). كان الأئمة الأطهار دائمًا دعاةً للوحدة بين أفراد الأمة الإسلامية بأفعالهم وسيرتهم العملية وكلماتهم النيّرة، وكانوا ينهون عن التفرقة والتشتّت. لا يعترف الإسلام بأيّ حدود عقدية أو سياسية أو فكرية بين أفراد المجتمع. بمقدور المسلمين في العالم أن يحيوا حياة مسالمة وتحقيق المجتمع الإسلامي عبر التمسّك بالمشتركات التي تجمعهم مثل القرآن والنبي الأكرم والقبلة المشرّفة وغيرها من الأصول. تزخر سيرة أهل البيت (عليهم السلام) بالكثير من الوصايا التي تحثّ على الوحدة بين المسلمين ونبذ الفرقة.

العتبات المقدسة محور التآلف بين الحكومات والمذاهب الإسلامية

دأب مراجع الشيعة وعلماؤهم عبر التاريخ في تعاطيهم مع أهل السنّة على التمحور في القول والفعل حول المشتركات التي تجمع المسلمين، ورفعوا شعار الوحدة، وبرهنوا لشيعتهم من خلال سيرتهم العملية على مبدأ الوحدة ليقتدوا به كمعيار جامع في جميع المجالات والميادين، وليضعوا سيرة أولئك العظام نصب أعينهم في حياتهم الاجتماعية.

على هذا الأساس، كان العلامة البهبادي اليزدي بوصفه حاكم مدينة النجف الأشرف وسادن الروضة العلوية المقدسة يتّخذ من سياسة التقريب بين المذاهب معيارًا لإدارة شؤون المدينة الداخلية والخارجية.

---

[1] كان الإمام الخميني (رحمه الله) من بين الذين يعتقدون أنّ التقابل في هذ النوع من الروايات هو بين الكفر والإيمان، وكان يقول بأنّ الروايات العقدية والكلامية منفصلة عن الروايات الفقهية، وأنّ ردّ أو قبول الإمامة يجب أن يعزى إلى مراتب نقص وكمال الإيمان والإسلام وليس المقابلة بين الكفر والإيمان (الإمام الخميني، كتاب الطهارة، ج ٣، صص ٣١٨ – ٣٢٥؛ لمزيد من المعلومات حول آراء فقهاء الشيعة في هذا الموضوع أنظر: هفت آسمان، العدد ٢١، صص ٧٠ – ٨٩). وطبقًا لرأي آية الله الخوئي فإنّ من ضروريات الولاية الحب والولاء وهو ما يعتقد به أهل السنّة أيضًا، أمّا الولاية بمعنى الخلافة فليست من الضروريات... » (الغروى، التنقيح، ج ٢، ص ٨٦)[٢١] وفي الأصل، فإنّ الإمامة من ضروريات المذهب الشيعي وليس الدين الإسلامي (الإمام الخميني، كتاب الطهارة، ج ٣، ص ٣٢٥).

المقاربة داخل مذهبية

كان العلامة البهابادي اليزدي يعتقد بضرورة تبنّي البرهان المنطقي والاستدلالي من خلال مقاربة عقلانية وسطية في الميادين داخل مذهبية، وكان يتجنّب المباحثات الجدلية والآراء المتطرّفة، واستطاع أن يهيّئ في الحوزة العلمية بالنجف الأشرف مستلزمات تقدم العلوم الإسلامية، وأن يجمع التيارات الفكرية المختلفة مع بعضها البعض، من أجل التعاون فيما بينها وتشكيل جبهة شيعية متحدة بدلًا من التناحر والتنافس.

مقاربة داخل دينية

كان العلامة البهابادي اليزدي يسعى في الميادين داخل دينية إلى نقل جوهر رسالته والتعريف بالتشيّع عبر أساليب البرهان والمنطق بعيدًا عن النزاعات في المباحث الكلامية والردّ المباشر على الشبهات. وفي هذا السياق دوّن كتابه المنطق في النجف الأشرف ليبرهن على أنّ السبيل الوحيد لمواجهة المذاهب الفقهية والكلامية والفلسفية والتفسيرية والأصولية غير الشيعية هو التفكّر والخطاب البرهاني الاستدلالي.

كان فقيهًا له نوادر ضافية في النجف. ومن مكارم أخلاقه وحسن تدبيره وتصرّفه وعلو منزلته صار خازنًا لحرم أمير المؤمنين عليه السلام. كذا وصفه شيخنا محمد حرز الدين وقال:

«والمعروف المتسالم عليه أنّه أتى به الشاه طهماسب من إيران إلى العراق ليتولّى نقابة الحرم المقدس، وسلّمه مفاتيح الحرم، وخزانة الآثار النفيسة، والخزانة الكبيرة التي فيها السلاح الموقوف الذي أعدّ للدفاع عن الحرم خاصة والنجف الأشرف عامة من الغارات البدوية. وبنى له الشاه طهماسب مدرسة في النجف في الجانب الشمالي الغربي منها، تقع في محلة المشراق حوالي دور السادة آل كمونة، والمدسة اليوم أعني سنة ١٢٥٩هـ اندرست آثارها. وجلب له الطيور من الهند المعروفة عند العامة في النجف بطيور الحضرة تارة والطورانية تارة أخرى.[١]

ولمّا قدم السلطان مراد العثماني النجف وتشرّف بزيارة مرقد أمير المؤمنين (عليه السلام) أقرّ المولى عبد الله لما رأى من عناية وحسن تدبير وتصرّف، وبقيت نقابة الحرم الغروي في النجف بأيدي أولاده وأحفاده إلى زمن الملا يوسف المتوفى حدود سنة ١٢٧٠هـ.[٢]

---

[١] مباحث عراقية: ٩٣/١. موسوعة العتبات المقدّسة (قسم النجف) : ٢٠٢/١.و تاريخ النجف الأشرف المؤلف : عبد الزراق حرز الدين، الجزء : ٢ صفحة : ٢٧٦

[٢] تاريخ النجف الأشرف المؤلف : عبد الزراق حرز الدين، الجزء : ٢ صفحة : ٢٧٤و معارف الرجال: ٤/٢.